صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد السابع



العدد السابع
من
السنة السابعة

٢٤ حارة جاد شارع الفجالة مصر

يوليو ١٩٣٨

مشاكل العصر الحديث

المسألة اليهودية

تواترت الانباء من المانيا في الشهر الماضي عن المعاملة القاسية التي يلقاها اليهود على يد الحكومة الالمانية . ولما كان لهذه الحكومة خصوم كثيرون في اوربا وخاصة في تلك الامم الديموقراطية التي تكره النظام الهتلري فاننا يجب ان نحذر الانخداع لاراجيف يراد بها تسوئة الالمان . ولكن بعد ربلة الاخبار يبقى شيء واضح هو أن اليهود في المانيا قد اصبحوا عنصراً مكروهاً يحب الالمان ان يتخلصوا منه . واذا كان لامة أن تلوم الالمان على اضطهاد اليهود فان هذه الامة يجب الا تكون مصر لان مصر هي التي بدأت الحركة قبل اربعة آلاف سنة واضطهدت اليهود وطاردتهم حتى اخرجتهم من مصر . وقد تأثر اليهود بهذا الاضطهاد حتى صارت اسطورته قسما من التوراة يمتزج فيه التاريخ بالدين . وهذا القسم من التوراة هو دعاية قاسية ضد المصريين وضد مصر الكافرة التي اضطهدت شعب الله المختار . ومهما ارتكبت المانيا من اضطهاد فهي لن تصل الى مستوانا الذي وصفته لنا اساطير التوراة

والحركة الصهيونية تزداد قوة كلما ذاعت عن اليهود هذه الاضطهادات التي تقع بهم . واذا كانت هنالك مبالغات في وصف هذه الاضطهادات فان بعض ما يعللها اي هذه المبالغات هو رغبة اليهود في اقناع العالم المتمدن بحاجة اليهود الملحة الى وطن يؤويهم او على الاقل يؤوي اولئك الذين نزل بهم الاضطهاد . وكأن لسان حالهم يصرخ : « انا محرومون من العيش في المانيا وفي غير المانيا فامنحو

لنا بالعيش فى فلسطين . لأن هذه البلاد هى بلاد ابائنا وليس من حق احد ان يقول أننا غرباء فيها »

وقبل نحو ثلاث او اربع سنوات انذرنا العرب فى فلسطين على صفحات هذه المجلة وقلنا ان الاضطرابات اذا استمرت فان الرجم الوحيد الذى سوف تحدثه هو مطالبة اليهود بوطن مستقل . ونصحنا العرب بان يكفوا عن الوسائل التى يستعملونها واشرنا عليهم ان يبحثوا عن رجل مثل طلعت حرب ينشىء لهم البنوك ويشترى الارض ويؤسس المصانع اى يحارب اليهود بسلاحهم . ولكننا مع الاسف لم نجد الاستجابة التى كنا ننتظرها . بل ان بعض المشتركين من العرب فى فلسطين قطعوا الاشتراك بهذه المجلة لهذه النصيحة التى أبديناها . والآن يتحقق مع الاسف ما تكهنا به وتقوم لجنة انجليزية بتعيين الحدود لوطن يهودى له حكومة يهوديه مستقلة ويملك احسن السواحل والموانى ويستعد اليهود للمستقبل الباسم امامهم ويؤلفون هذه الايام شركة ضخمة لشراء اسطول بحرى تجارى ينقل المتاجرة بين فلسطين والعالم

والايديولوجية الجديدة التى يشكو منها اليهود فى المانيا اى العلة الذهنية التى سادت على العقل الالمانى وجعلته ينظر نظرة الكراهة لليهود — هذه الايديولوجية هى التى آمن اليهود بمثلها لشعبهم قبل ان يؤمن الالمان بها لشعبهم . فان اليهود يجعلون الدم اليهودى اساس الدين . فانا وانت ايها القارىء المسيحى أو المسلم لايمكننا ان نعتنق اليهودية كما نعتنق الاسلام او البوذية او المسيحية . اذ يجب ان يكون دمنا قبل كل شىء يهوديا . وهذه النظرية التى تقول بنقاوة الدم أو طهارة السلالة هى نفسها التى يقول بها الالمان هذه الايام حين يصرون على العنصرية الآرية التى لاينتسب اليها اليهود .

وانا والله لنكبر من شأن العنصرية وتعجب الاعجاب كله لهذا السبب باليهود والالمان . لأن اختلاط السلالات بين البشر يؤدى الى الفوضى فى الاخلاق والاضطراب فى النزعات كما يؤدى اليها الاختلاط بين سلالات الحيوان او النبات . والعتق فى الخيل يحتاج الى نقاوة الدم والعناية بطهارة السلالة . وكذلك العتق فى الانسان يحتاج الى مثل ذلك . والامة التى لاتبالى ان تجرى فى عروقها دماء الزنج والمغول قد تكون متحضرة فى ظاهرها ولكنها تبقى همجية فى صميمها لاتستقيم على اسلوب فى الاخلاق او النزعات لان عناصر الاباء فيها متعددة تنحرف بها الى تعاريج وتعاويج يغلبها عليها الدم المختلط

وعبرانا من الايديولوجية الالمانية ومن الدين اليهودى معا ان يحتفظ كل منا بدمه فلا يرضى بان يتزوج من غير سلالته الا اذا اعتقد انه يرقى ولا ينحط بمزج دمه بدم من طراز آخر يعلو عليه

هيدروبونية

هذه لفظة جديدة يجب ان يعرفها قراء المجلة الجديدة اذ هى تعنى علما جديدا سوف يكون له شأن بعد نحو عشر سنوات . بل هى لها شأن لا يستهان به فى الوقت الحاضر . وخاصة فى المانيا والولايات المتحدة . فان الهدروبونية تعنى الزراعة بالماء أى بالاستغناء عن التربة . وذلك باقامة أحواض تملأ بالماء ثم توضع المواد الكيماوية المغذية فى هذا الماء ويغرس النبات أو تبذر البذور ويسلط عليها ضوء صناعى ويدفأ الماء فتنمو نموا سريعا عظيما لا يمكن النبات الذى يزرع فى تربة الأرض الزراعية أن ينمو مثلها

والنبات جميعه بأشجاره العظيمة أو أعشابه الصغيرة انما يأخذ معظم غذائه من الهواء . وحاجته إلى الارض أى التربة صغيرة اذ هى لا تتجاوز المعادن التى يحتاج اليها لنموه . فاذا قطعنا شجرة كبيرة مثل الجميز أو الحور أو النخل واحرقناها كلها جذوعاً وجذوراً وغصونا لم يبق منها غير القليل من الرماد هو المقدار الذى أخذته الشجرة من الأرض . أما ما تبدد دخانا فهو الذى أخذته من الهواء . وعلى هذا الاساس يمكننا أن نزرع النبات فى حوض صغير مجهز بالماء وبالمعادن التى تعود رمادا عندما تحرق هذا النبات . لأن معظم غذاء النبات انما يتخذ من الهواء

وقد انتشرت الهيدروبونية فى ألمانيا والولايات المتحدة . ويعنى الانجليز عناية كبيرة بدرس هذا العلم واصطناع فنه وقد ذاعت زراعة الخضراوات على هذه الطريقة الجديدة وصارت تباع مع الربح فى الأسواق الأمريكية والألمانية . والطريقة المتبعة الآن أن يصنع الحوض من الخشب أو من الاسمنت أو الحديد .. ولكن فى الحالتين الاخيرتين يجب أن تطلى جدرانه بمادة غير سامة تمنع التفاعل الكيماوى بين الاسمنت أو الحديد والماء . والابعاد المألوفة أن يكون طول الحوض أربع أقدام فى عرض ثلاث أقدام . ويغطى الحوض بشبكة من الحديد . ثم يوضع فوق هذه الشبكة طبقة خفيفة من القش الهش أو نشارة الخشب لكى يوضع عليه الحب حتى لا يسقط فى الماء الذى يلى الشبكة .

والماء يصل الى أن يمس الحب فينبت وتهبط الجذور خلال القش أو النشارة والشبكة الى الماء فتجد المواد الكيماوية المغذية وهى تتراوح بين ٣٠ و ٤٠ عنصرا أو مركبا . فتأخذ فى النمو السريع لوفرة الغذاء . والماء يدفأ بمصباح كهربائى ضعيف حتى تحث السخونة النبات على سرعة النمو . ويستعاض عن ضوء الشمس فى الليل أو اذا لم تكن الغرفة معرضة لها فى النهار بضوء النيون الذى تصنع منه الأعلانات الملونة الزاهية فى مدننا اذ هو أقرب الاضواء الى ضوء الشمس . ومن الخضراوات التى نجحت نجاحا بارزا فى الزراعة الهيدروبونية زراعة الطماطم والبطاطس . فقد أمكن الحصول على ١٤٧٩ رطل انجليزى من البطاطس فى ١٨ اسبوعاً من أحواض لا تبلغ مساحتها سوى جزء من مائة من الفدان . والبذور تزرع قريبة بعضها من البعض لوفرة الغذاء بخلاف ما يجرى فى التربة الزراعية

ولسنا نعرف كتابا فى هذا الموضوع لننصح قراءنا بقراءته . ويبدو ان كل أمة تحتفظ بأسرارها عن مقدار العناصر والمركبات وأنواعها . ولكن غذاء النباتات معروف ويمكن الهواة فى مصر أن يجدوا فى هذا العمل تسلية وفائدة معا . وحسبهم أن يقرأوا كتابا ابتدائيا فى الزراعة لكى يعرفوا المواد المغذية ثم يصنعوا أحواضا توضع فى البلكونات أو على سطوح المنازل . وأغلب الظن أن الزراعة الهيدروبونية تنجح عندنا أكثر مما تنجح فى أوربا وذلك لدفء الجو وسطوع الشمس

ولن يكون الزمن بعيدا حين تستغنى المدن عن الريف من ناحية غذائها أو معظمه على الاقل بحيث يصنع كل بيت يعيش فيه رجل أو امرأة متمدنة جميع ما يحتاج اليه من فواكه وخضراوات

التضخم النقدى

يعنى التضخم أن النقد — قرشا كان أم جنيها — تنحط قيمته . فبدلا من أن يشترى الجنيه مائة ذراع من القماش لا يشترى سوى خمسين أو أربعين ذراعا . والامة الراقية التى يتسع فيها العمران وتسود الحضارة تسير على الدوام نحو التضخم من حيث لا تشعر . فنحن قبل أربعين سنة كنا نشترى البيض بسعر العشرين بقرش . والآن نشتريه الست بيضات بقرش

وهكذا الشأن فى سائر السلع والاجور . فان مدير المديرية كان مرتبه لا يزيد على ثلاثين أو أربعين جنيها فصار الآن نحو مائة جنيه . وكانت أجرة العامل قرشين فصارت الآن خمسة أو ستة

وكنا نشترى المتر المربع فى القاهرة بريال فصرنا نشتريه بخمسة جنيهات

وكل هذا يعنى التضخم: اى ان الجنيه المصرى قد اصبح الان لا يساوى سوى نحو عشرين قرشا قبل اربعين سنة . وليس منا من يشكو هذه او يرجو ان نرجع الى الاسعار القديمة . ولو رجعنا الى الاسعار القديمة ورضينا بأن نعالج هذا التضخم الطبيعى الذى اصاب الجنيه لأصبح صاحب الجنيه سلطانا وصاحب العقار عبدا لا قيمة لعقاره الا القحة الضئيلة التى لا تغنى فى ايامنا

وما دامت الامة يزداد سكانها كما تزداد ثروتها وصادراتها فانها تستطيع ان تتحمل كل سنة تضخما يسيرا فى تدرج سوى دون ان تشعر بالغلاء . كما حدث لنا واغيرنا فى الاربعين من السنين الماضية . فاذا كانت الامة سريعة التقدم فانها تستطيع ان تسرع فى التضخم دون ان تخشى اى خطر بل دون ان تشعر بالغلاء المتزايد والذى هو حال طبيعية فى كل امة متقدمة

وقد كنا نسير على قاعدة الذهب قبل سنة ١٩٣٢ اى أن جنيه الورق كان يساوى جنيه الذهب ، فخرجنا عنه وجعلنا قاعدتنا الجنيه الاسترليني ، اى أن الجنيه المصرى أصبح لا يشترى من البضائع إلا بقدر ما كان يشترى منه ٥٠ قرشا . ولم تخرب البلاد بهذا التضخم ولم يأسف أحدنا على الحال الجديدة . بل اغتبطنا بهذا التضخم لأن ثمن القطن زاد وصار المزارع اقدر على تسديد ديونه مما كان قبل ذلك

ولكن اذا كان تعلقنا بالجنيه الاسترليني لم يضر بنا بل بالعكس قد انتفعنا بعلاقتنا كنا ننتفع أكثر لو كان التضخم أكبر كما لو علقنا الجنيه المصرى على الفرنك الفرنسى مثلا . فان الفرنك كان يساوى قبل الحرب نحو ٣٧ مليما فصار يساوى الان نحو ستة أو سبعة مليمات . ولم تفلس فرنسا ولم تخرب مصانعها ولم تمت زراعتها لهذا التضخم . بل العكس هو الذى حدث وهو أنها تخلصت — حكومة وامة — من ديونها واستعادت نشاطها الاقتصادى الذى كانت تتعذر استعادته لو أنها بقيت على سعر الفرنك السابق قبل الحرب

وفى مصر حيث جميع المزارعين تقريبا ومعظم أصحاب الأعمال الحرة مدينون نحتاج كلنا الى نقد رخيص (أى التضخم) حتى نسد ديوننا وتنشط حياتنا الاقتصادية . ولو نزلت قيمة الجنيه المصرى الى قيمة الريال الحاضر لوثبت البلاد وثبة اقتصادية مدهشة . اذ أن ثمن القطن يقفز من ٣

جنيهات الى ١٥ جنيها . ويمكن المزارع أن يسدد ديونه . واذا كانت الحكومة مرتبطة بالجنيه الاسترليني فى تسديد ديونها فان تضخم الجنيه المصرى لا يضرها أقل ضرر لانها يمكنها أن تزيد الضرائب والمكوس حتى تستوفى ما تبلغ قيمة خمسة أضعاف ايراداتها الحاضرة

ويجب الا ننسى أيضا ان التضخم فى النقد يمنع المزاحمة الاجنبية للمصنوعات والمحصولات المصرية . وهذا المنع ينشطها ويزيد مقاديرها ويجعل المصرى — على الرغم منه — يستهلك مصنوعات بلاده ومحصولاتها الزراعية . واعتقادنا ان اعظم ما جعل اليابان تتفوق على الاقطار الاخرى فى ترويج مصنوعاتها هو مبادرتها سنة ١٩٣٠ الى خفض الين الى ثلث قيمته ولو كنا قد اقتدينا بها لكان علينا ان ننزل قيمة الجنيه المصرى الى ٣٣ قرشا منذ سنة ١٩٣٣ الى الان ولو كنا قد فعلنا ذلك لكان المزارعون والصناعيون الان على احسن حال يعيشون فى رخاء وقد سددوا جميع ديونهم وتوسعوا فى نشاطهم الاقتصادى

المذهب العباسى

هبطت قيمة السياسة فى مصر فى السنوات الاخيرة هبوطا عاما بين الجمهور الذى يقابل افراده تصريحات الزعماء فى خطبهم ومناقشاتهم بجمود أو بتهكم كلاهما يدل على مرارة فى النفس تعود الى اعتقاد الجمهور أن هؤلاء الساسة لم يخدموا مصر ولم يتوخوا الرق العام للوطن أما لأنهم يجهلون وسائل هذا الرق وأما لانهم يعرفونه ولكنهم يؤثرون عليه الاضاليل والسخافات . وتتردد على صفحات الجرائد صيحة كأنها صرخة الجريح : الفلاح ! الفلاح ! وقد تنبه هؤلاء الكتاب الصارخون أخيرا الى أن الحال التى يعيش فيها الفلاح أخطر من أى مسألة أخرى فى العالم . وتنبهوا الى ما سبق أن قلنا وهو أن نصف الارض الزراعية يملكها ثلاثة عشر الف مالك مصرى وأجنبى وأن سائر الامة أى ١٦ مليونا يعيشون على النصف الباقى

وتزداد الصرخات قوة وتتوالى الواحدة أثر الاخرى ليس عن الفلاح فقط بل عن الصحة العامة التى يتضح من الفحص الطبى أنه ليس فى الامة كلها سوى ٥ فى المائة أصحاء و ٩٥ فى المائة مرضى . وان التعليم الالزامى لا يصل الى ١٥ فى المائة من صبيان الامة . وحتى أولئك الذين يصل اليهم لا

يتفهم اذ هو قشور سرعان ما ينفضها الصبي عن نفسه عندما يترك المدرسة . ويسمع الجمهور أو القراء منه عن نقود تؤديها الدولة المتمدنة للعامل اذا بلغ الخامسة والستين من العمر وعن اللبن يوزع بالمجان على تلاميذ المدارس الفقراء وعن البيوت تبنى للعمال وعن الرحلة تنظمها الحكومة (الالمانية مثلا) لعمالها لكى يتنزهوا برؤية أفريقيا . يسمع القراء من الجمهور عن هذا وذاك فيتساءلون السنا بشرا مثل هؤلاء وأين أموال الامة وأموال الدولة وكيف تنفق ولماذا تنفق على هذه الطريقة أو تلك فلا تصل الى الفقير والمحروم ؟

ولكن هذا السؤال لا يجد جوابا . وهو لا يجد جوابا للتخبط العام فى التفكير السياسى . فاننا مازلنا فى طور الزخارف والزينات وكما نحب البهرجة فى اللغة ونسميها بلاغة ونعلمها لصبياننا كذلك نحب البهرجة فى السياسة ونسميها وطنية . فنحن نحتفل بهذا العيد أو تلك الذكرى . واحتفالنا رايات ومصابيح تضاء طول الليل وتخرج منها تلك شركة النور بنحو عشرين الف جنيه ربحا صافيا . وفى هذا الوقت الذى تتلألأ فيه هذه المصابيح ويدوى فيه الرديوفون بخطبة « بليغة » لاحد الزعماء يكون الوف بل مئات الالوف من الفلاحين والعمال فى حيرة كيف يحصلون على القوت . بل لقد بلغ تعلقنا بالبهرجة فى السياسة ان قام شبان لهم عقول الصبيان يؤلفون عبارات لها رنين يزعمون فيها انها برامج للاصلاح . ويجوز هذا البهرج على شباننا المساكين فيظنون ان له قيمة . ولنا جرائد تعالج السياسة كأنها الصفات او العلاقات الشخصية للساسة او لزعمائهم . ولنا مجلات تشغل الجمهور وتخدر عقول افراده باكاذيب واضاحيك وتوهم ان لغمزة العين ومصافحة اليد مغزى سياسيا

واساس البلوى ان ليس لنا ايديولوجيات سياسية . فى الأمة المتمدنة نجد احزابا تدافع عن اراء معينة تجتمع كل طائفة منها فى ايدلويوجية خاصة يدافع عنها حزب خاص بحيث يفهم المنضوى الى هذا الحزب ان هناك برنامجا مضمرا عن المسائل القائمة والتى سوف تقوم . فحزب المحافظين يضم مجموعة من الاراء السياسية المتماسكة . و كذلك حزب الحريين . و كذلك يفعل الاشتراكيون او الفاشيون او الشيوعيون . اذا . كل من هذه الاحزاب مجموعة حية من الاراء السياسية تتصل بالهيئة الاجتماعية وتنمو بنموها . ولذلك يسهل على الحزب من هذه الاحزاب ان يعين خطته عن عصبة

الامم او بناء المساكن او التضخم النقدى او مساعدة الامهات أو غير ذلك . ويسهل على الحزب المعارض ان يضع برنامجا معارضا . ويسهل على الجمهور ان يدرس وان يرقى بهذا الدرس وان يساعد الحكومة القائمة حين تقصد الى تنفيذ برنامجها . لأن هذا البرنامج ليس مزيجا غير متألف من الاصلاحات الحقيقة او المزعومة وانما هو بناء حى قد قام على افكار ايدولوجية متجانسة متلائمة

وقد اوشكنا حوالى سنة ١٩١٠ ان تكون لنا ايدولوجية نسير عليها ونجعل منها برنامجا للاصلاح . حين كان لطفى السيد يحرر « الجريدة » ويدعو الى مذهب « الحريين » الذين يقفون بين الاشتراكيين والمحافظين لايتطرفون ولايجمدون ويحرصون على الدوام على حرية الفرد وكف الحكومة عن الطغيان . ولست امتدح الان هذا المذهب ولكنى اعتقد اننا لو كنا قد سرنا عليه واشبعنا نظرياته وجعلنا الطبقة العالية فى الدولة والامة تؤمن به لكان لنا منه ثمرات لاتحصى من حيث التوجيه الاصلاحى ومن حيث انه كان يمكن ان يبعث فينا تفكيرا اشتراكيا وتفكيرا محافظا . ولكننا للاسف — مع كل نكراننا — لانزال امة شرقية تحب الهرج والرنين واللون الصارخ . ولطفى السيد رجل نحيف ضئيل الجسم هادىء الصوت يأنف من النضال الحزبى على اساليبه الشائعة الآن فى مصر . ولذلك ماتت حركة الحريين التى شاعت فى مصر قبل ٢٨ سنة وماتت الايدولوجية الوحيدة التى كان يمكن ان ننتفع بها فى تطورنا الحديث

اخرجت الحكومة الايطالية بمعاونة رجال الزراعة ومعهد السينما الوطنى المسمى لوتشى عددا كبيرا من الافلام الزراعية لعرضها مجانا فى الاقاليم فيحضرها فى الجلسة الواحدة عدد لا يقل عن خمسة آلاف من الفلاحين

للتعليم الزراعى بالاذاعة اللاسلكية فى ايطاليا عشرة مراكز للاذاعة وعدد جهازات الاذاعة الزراعية بلغ حتى العام الماضى ١٧٤٥١ جهازا نصفها فى المدارس الريفية والباقى فى المراكز والاندية الزراعية الخ

ماذا يجب على الفتاة أن تقرأ

سألت مجلة الطالبة الاستاذ سلامة موسى هـذا السؤال فأجابها بالكلمة التالية :

لا يمكن الفتاة فى مصر ان تساير التطور العالمى وتدرك المغزى فى اخبار الصحف او المجلات ما لم تقرأ كثيرا من الكتب التى تنير ذهنها وترقى شخصيتها وتجعلها ترى الرأى السديد فى الحوادث والانقلابات — وما أكثرها فى أيامنا . وليس فى اللغة العربية من المؤلفات ما يمكن القارىء او او القارئة المصرية ان تقنع به . وسأنبه عن النقص فيما يلى . ولكن هذا النقص لا يعفى من ان انوه بالكتب الحاضرة التى يمكن الانتفاع بها

واول ما يجب ان نلتفت اليه هو أن اساس الحياة الدينية فى مصر هو الاسلام . او هو كذلك على الاقل للكثرة الساحقة . فيجب على كل قارىء ان يعرف القرآن ، يدرسه دراسة التعمق اذا استطاع او يقرأه على الاقل قراءة الاطلاع . فاذا شاء التوسع فيجب ان يقرأ حياة النبى بقلم هيكل او طه حسين

ويلى القرآن فى قيمته للقارىء أو القارئة المصرية الانجيل . وليس ذلك لانه أساس الحياة الدينية للاقباط فقط بل لأنه أساس الحياة الاوربية والحضارة العصرية . وكما ان الاسلام يتخلل اجتماعنا فى مصر كذلك المسيحية تتخلل — وان يكن بدرجة اقل — الاجتماع الاوربى . ولا يسع مسلما أو مسلمة فى مصر أن تهمل هذا الاجتماع الاوربى فى العصر الحاضر . اذ يجب عليها ان تفهمه حتى وان لم تعطف عليه . والتعمق فى دراسة الانجيل يحتاج الى درس التوراة او الى الاطلاع على القليل منه . وهنا يجب التنبيه عن الفائدة العظمى التى تعود من قراءة ترجمة المسيح لرينان كما لخصها المرحوم فرح انطون

القرآن والانجيل هما اول ما يجب على كل شاب او فتاة فى مصر ان يقتنيا . ولا اقول هذا من حيث الواجب الدينى الذى يخرج عن موضوع هذه الكلمة بل من حيث الواجب الاجتماعى . فان هذين الكتابين هما اساس الاجتماع فى مصر واوربا ولا يمكن أن تفهم هذا الاجتماع ما لم ندرسهما

بعد ذلك يجب ان نختار من الكتب ماله مغزى واضح فى حياة مصر الاجتماعية والسياسية وعندى ان احسن الكتب فى تنويرنا هنا هو تاريخ الجبرتى . فانه يشرح حالة بلادنا فى نهاية قروننا المظلمة وبداية عهدها الحاضر . ويجب علينا ان نعرف شيئا من ظلام الليل الطويل الذى خيم على ابائنا منذ دخول الاتراك الى ظهور محمد على . هذا وكتاب الجبرتى هو تحفة تاريخية يصف لنا مصر الشرقية قبل ان توقظها ريح الغرب ومع انى اكره ايجاز الكتب فانى اعتقد ان هذا الكتاب يزداد قيمة لو اختصر . اما الكتاب الرابع فهو التاريخ السرى للاحتلال البريطانى فى مصر وهو الكتاب الفريد الذى وضعه ولفريد بلنت فانه يشرح للقارىء او القارئة النهضة المصرية الاولى وعوامل التدمير التى عملت لهدم الاخلاق المصرية وتقويض الاستقلال وقد عاش الاحتلال البريطانى اكثر من خمسين سنة وكان ولايزال له الاثر العظيم فى نظام الحكومة والديموقراطية والتطور السياسى والاجتماعى فمن المحتوم على كل من يريد ان ينير ذهنه عن الحالة القائمة فى مصر ان يرجع الى اصولها فى تاريخ هذا الاحتلال ويعرف جميع العناصر والعوامل التى كونته او ساعدت على ايجاده

اما الكتاب الخامس فيعالج موضوعا مناقضا . فان كتاب بلنت يشرح لنا الاطوار التى تقلبت فيها سياستنا حتى تم الاحتلال البريطانى . ولكن كتاب العقاد عن سعد زغلول يشرح لنا الاطوار التى تقلبنا فيها حتى تخلصنا او كدنا من هذا الاحتلال . وهذا الكتاب هو احسن ما كتب اطلاقا فى هذا الموضوع . فان شخصية سعد تبرز فيه كما ان الحوادث والانقلابات فى نهضتنا الحاضرة تتضح ومن شاء التوسع والتعمق فليقرأ تاريخ الحركة القومية لعبد الرحمن الرافعى بك

بعد ذلك ارى ان هناك كتبا اخرى يحتاج اليها القارىء أو القارئة لكى يدرك معنى النهضة الاوربية الحاضرة العصرية التى تغمرنا بطوفانها وتصدمنا بتياراتها . واوربا الحديثة وهى التى تعزى اليها هذه الحضارة هى ثمرة الثورة الفرنسية الكبرى وخير ما يقرأ عن هذه الثورة هو كتاب الدكتور محمد صبرى . ولا أعرف للاسف كتابا حسنا عن الثورة الامريكية أو الثورة الانجليزية . مع أن كلا منهما تعد مقدمة الثورة الفرنسية التى تبلورت فيها مبادىء الثورتين وتقرر بها مبادىء الحرية والمساواة والاخاء . هذه المبادىء التى قضت على الاستبداد ونصت على ضرورة الدستور الذى ترضاه الامة . ويجب ألا ننسى على الدوام أن روح الثورة الفرنسية كان روحا عالميا اذ أن دعاتها لم يفكروا الا فى

حقوق « الانسان »

ومن شاء أن يقرأ شيئا عن هذه الثورة فيتعرف الى مبادئها ورجالها بلا كد أو عناء فعليه بقصة دوماس التى ترجمها المرحوم فرح أنطون

على أن الثورة الفرنسية هى وليدة نهضة فكرية نشأت فى فرنسا وعمت أوربا وما زال العالم يعيش فى ظلها . وهذه النهضة هى التى بعثها فولتير وجان جاك روسو وديدرو وزملاء آخرون . وكل منهم مختلف عن الآخر من حيث الوسيلة بل قد يتناقضون فيها كما يتناقضون فى المزاج . ولكن غايتهم جميعا كانت مكافحة الاستبداد وتحقيق الحرية . ومن أحسن ما يقرأ هنا كتاب هيكل عن جان جاك روسو وهو كتابنا السابع . وقد مضى على وفاة هذا الرجل أكثر من مائة وستين سنة ولكن تفكيره البذرى لا يزال يثمر فى السياسة والاجتماع والفنون من سويسرا وروسيا الى جمهوريات أمريكا الجنوبية . وللاسف ليس لدينا ترجمة مضارعة عن فولتير

أما الكتاب الثامن فهو حرية الفكر الذى وضعته أنا لانه يتفق وهذه الغاية التى قصدت اليها من حيث التعرف الى الاسباب التى تعزى اليها الحضارة القائمة . وهذا الكتاب يبين فى ايجاز — قد يكون أحيانا مخلا — كيف وصلت أوربا الى تحقيق الحريات المدنية وآمنت بها بل كيف تهورت فيها حتى كان منها هذا الرجع الذى نراه فى الامم الفاشية

ومع الخجل العظيم ارانى مضطرا أيضا الى أن أجعل الكتاب التاسع كتابى عن « نظرية التطور » لان هذه النظرية لها قيمة محورية فى الثقافة الحديثة وهى تتخلل جميع النظريات البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية بحيث لا يمكن فهم التاريخ الحديث للتطور البشرى قبل أن تفهم هذه النظرية على أصولها كما وضعها داروين

أما الكتاب العاشر للفتاة فيجب أن يكون واحدا من تلك الكتب التى تعالج تربية الطفل . ومع انى لا أعتقد أنه يجب ان يكون هناك فرق فى الثقافة بين الشاب والفتاة فانى أظن أن عبء تربية الاطفال يقع على الزوجة دون الزوج . ولذلك يجب أن نسأل رجال معهد التربية عن أحسن كتاب لتربية الطفل . فانى لا أعرفه

صحة الزوجين

بقلم الدكتور محمد محمد رجب

السعادة الزوجية هي غاية مايتمناه كل مقدم على الزواج . بل هي الأمل الذي ينشده أو العزاء الذي يتعزى به عندما ينفق ما ادخره من مال في سبيل الحصول على شريكة لحياته يشعر معها بالسعادة الكاملة والهناء المقيم .

ويختلف الناس في فهمهم لهذه السعادة وفي طريقة الحصول عليها فيرى بعضهم ان السعادة لا تواتيه إلا اذا كانت زوجته غنية حتى ينفق عن سعة ويعيش في رغد ويرى البعض الآخر ان الغنية الجاهلة قد تنغص عيشه وأن سعادته لا تتحقق إلا بامرأة متعلمة مثقفة يستطيع أن يفهمها وتفهمه . بينما يرى البعض الآخر أن جمال الزوجة هو أساس السعادة . ويختلف الناس في ذلك باختلاف درجة رقيهم وعلمهم ومركزهم الاجتماعي ومثلهم العليا في الحياة . ولكن ذوي النظر السليم يعرفون أن السعادة أولا وقبل كل شيء هي في الصحة الكاملة والخلو من الامراض . فالمال الكثير والجاه العريض والنسب العريق والعلم الوافر كل ذلك لايكفي لضمان السعادة الزوجية اذا كانت الصحة معتلة إذ ما فائدة المال الكثير للزوج اذا كانت زوجته معتلة الصحة تنفق هذا المال في علاج وأي سعادة يشعر بها ذلك الزوج في ان يراها كل يوم ملازمة للفراش تتألم وتتوجع وتصاب بنوبات تتكرر بين آن وأخرى فتنغص حياته وتقلق باله وتضيع كل امله في السعادة الزوجية التي كان ينشدها ثم هي بعد ذلك تأتي له بنسل ضعيف لايقدر على تحمل أعباء الحياة فيصاب بالامراض منذ الساعة الاولى وينشأ سقيما هزيلا . ومن المعروف أن هناك أمراضاً تأتي بالوراثة وأخرى تأتي بالاستعداد وهذا الاستعداد وراثي أيضاً الى حد كبير فمرض الزهري مثلا يأتي بالوراثة عن الأب أو الأم مباشرة وينتقل في بعض الاجيال من جيل الى جيل وقد تكون أعراضه ظاهرة على الطفل عند الولادة وقد تظهر في سن الطفولة وقد لا تظهر إلا في سن الشباب أو بعد ذلك يكون ظهورها بأشكال مختلفة متباينة لايعرفها إلا

الذين درسوها . بينما أمراض الروماتزم والتدرن الرئوى وغيرها لا تورث مباشرة من الاب أو الام انما الذى يورث هو الاستعداد الجسمانى لحدوث هذه الامراض . فيصاب بها من عندهم ذلك الاستعداد اذا وجدت الظروف الملائمة لذلك .

كلما ازداد المرء تفكيراً وبحثاً ازداد ايماناً بأن صحة الزوج وصحة الزوجة هما أهم عامل فى تكوين العائلة السعيدة وأمامنا على ذلك امثلة كثيرة فى حياتنا اليوميه نلمسها وندرك مدلولها بسهولة لقربها منا

١ـ فهناك مثلا أحد الموظفين يتقاضى مرتبا لا بأس به كان يكفى لأن ينفق عن سعة وان يعيش سعيداً لو أنه لم ينفق أكثره كل شهر للاطباء والصيدليات دون انقطاع وقد توفى له أحد الابناء فى سن المراهقة بمرض السل والباقون ضعاف هزيلون لا ينتأون يصابون بمختلف الامراض وما ذلك إلا لأن زوجته ضعيفة البنية منذ البداية ولذلك نراها بين يوم وآخر ملازمة للفراش ليس لديها من يرعى شئون منزلها أو ابنائها أو زوجها ، ثم انه اذا رزق منها بطفل منعه الطبيب من الرضاعة من ثدى أمه فيضطر ذلك الزوج لاحضار مرضع تكلفه هى الأخرى أجراً كان هو فى حاجة اليه لو أن زوجته صحيحة سليمة ، ثم ان ابناءه الآخرين ضعاف معتلون لا يكاد يترك أحدهم فراش المرض حتى يسكنه أخوه . والأب أو الزوج فى كل ذلك بائس يائس لا يستطيع خلاصا أيترك فلذات كبده يحصدهم المرض ؟ أم يرى زوجته تتألم أمامه فلا يسعفها بالعلاج ؟ وهو ان فعل لم يبق له بعد ذلك كله ما يسد نفقات معيشته المتواضعة من مسكن ومأكل وملبس الخ فهو يعيش فى الحقيقة على الكفاف ، فأى سعادة يشعر بها ذلك الأب المسكين الذى يودع ابناً له فى سن المراهقة الى قبره ليعول ابناً آخر على فراش المرض

ولعمرى فيم كان يفكر ذلك الرجل عند ما أقدم على الزواج من هذه السيدة ! أكان يفكر فيما كان ينتظره من البؤس الذى حل به منذ زواجه ! أم فى السعادة والهناء او كأنى به عند ما كان يجلس لنفسه قبل زواجه يفكر فى النعيم الذى هو مقبل عليه وفى الابناء الذين سيرزق بهم والذين سيجعلهم مثلا أعلى من الأخلاق الفاضلة والاداب العالية الاجسام الصحيحة فاذا هى أشهر قلائل حتى يتبدد ذلك الحلم اللذيذ والأمل الحلو عن حقائق لا تسره . واذا بهولاء الذين ينفق زهرة شبابه عليهم يكون

نصيبهم أما القبر وأما المرض . فتتهدم كل آماله فى الحياة ويعيش حزينا يائسا يندب سوء حظه
والأمثلة فى ذلك كثيرة فى حياتنا وان أردنا ان نضربها لضاق المقام عن ذلك وما علينا الا أن ندقق النظر لنعرف أن صحة الزوج وصحة الزوجة هما من العناصر المهمة ان لم تكن أهم العناصر فى تكوين الحياة الزوجية والحياة العائلية السعيدة

٢ — وهناك فتاة فى سن الشباب موفورة الجمال وعلى درجة من العلم والغنى خطبها أحد الشبان فاختارها لتكون شريكة حياته . ولا شك أنه يتخيل أن هذه العذراء هى كل ما يطمع فيه وانها نعم الزوجة ونعم الام لابنائه ولكن هذا الشاب يجهل أن خطيبته هذه مصابة بمرض فى القلب من المحقق أن يقضى عليها قبل مضى بضع سنوات وأن حمرة خديها ليست دليلا على الصحة ولكنها علامة من علامات المرض .

٣ — وهناك أخرى أشد من ذلك فهى فى ظاهرها على غاية ما تكون من الصحة والفتوة ولكن لديها استعدادا لمرض التدرن الرئوى وقد توفى به اخوان لها من الذكور وأخت ظهرت عليها أعراضه أثناء حملها وتوفيت به بعد الولادة بزمن وجيز تاركة خلفها رضيعا يائسا وزوجا سيء الحظ فمثل هذه لا تصلح أن تكون زوجة لأنها ستصاب هى الاخرى بنفس المرض عندما تتغير ظروف حياتها أو عند قيامها بأى مجهود أضافى تحتاجه طبيعة الحياة كالحمل والرضاعة وغيرها وبذلك لا يكون وجودها سبيل الى السعادة الزوجية بل خطر محقق على زوجها وأبنائها

٤ — هذا ولا يقل تأثير أمراض الزوج فى السعادة الزوجية عن أمراض الزوجة بل أنها أكثر تأثيرا نظرا لأن الأزواج هم المسئولون أولا عن كل شيء فى الحياة الزوجية .

ومعظم الامراض التى تصيب الاناث وتأتى اليهن بالوراثة والاستعداد تصيب الذكور أيضاً . على أن هناك امراضاً اخرى خاصة بالذكور تأتى اليهم بالوراثة أو بالاكتساب وتمنعهم صحيا وشرعا من القيام باعباء الحياة الزوجية على وجهها الا كمل . ومع ذلك فهم يغالطون أنفسهم ويغالطون من يقدمون على الزواج منهن فلا تكاد تبدأ الحياة الزوجية حتى تنكشف هذه الحقائق وينقلب كل أمل الفتاة فى السعادة إلى شقاء مقيم !

وهناك أحد الشبان كان مصابا بضعف جنسى وهو يعلم عن نفسه ذلك ولكنه أقدم على الزواج

وما كاد يمضى الشهر الاول حتى تكشفت حقيقة حاله فلما سئل عن ذلك قال أنه من أعمال السحر التى دبرها له أعداؤه نكاية به وأنه سيعمل على ابطاله بسحر أقوى منه . وهو يعلم علم اليقين أن الامر ليس أمر سحر وأعداء ولكنه مرض كان مصابا به من قبل وقد حذره أحد الاطباء من العواقب التى تنشأ من اقدامه على الزواج ولكنه ضرب بنصيحته عرض الحائط . وما كادت تنكشف حاله ويثبت عجزه عن ابطال السحر الذى أدعى أنه عمل له حتى تهدمت حياته الزوجية بعد كثير من المشاحنات العائلية وعادت زوجته المسكينة إلى منزل والدها بعد أن طلقت منه .

والآن وبعد أن ضربنا هذه الامثلة المتنوعة رب سائل يقول : من أين للراغبين فى الزواج أن يعرفوا كل ذلك ، ومن ذا الذى يستطيع ان يدلهم على هذه المعلومات التى قد تغير رأيهم راسا على عقب عند اختيارهم شريكة لحياتهم ؟

والحقيقة ان الفتيات والشبان المقدمين على الزواج لا يعيرون هذا الأمر اى اهتمام مطلقا وكل همهم منصب على معرفة غنى الزوجة وعلمها وجمالها ونسبها أو غنى الزوج ومركزه الاجتماعى وسنه ومنظره (وخفة دمه) ويهملون الاستفسار عن أى شىء يتعلق بصحته بينما هذا الامر كما بينا له من الاهمية مالا يقل عن الغنى والعلم والجاه من حيث أنه سبب من أسباب السعادة الزوجية .

ويا حبذا لو أن الشبان والفتيات عندما يقدمون على الزواج يأخذون بنصيحة أحد الأطباء فهؤلاء هم وحدهم الذين يستطيعون أن يدلوهم بطريقة لا يتسرب اليها الشك عن حالتهم الصحية وقوة احتمالهم . ويعرفونهم لدرجة لا بأس بها عن مقدار ما يصيبهم من السعادة أو الشقاء فى حياتهم الزوجية تبعا لهذه الحالة ويا حبذا لو ان الحكومة عندنا جعلت الحصول على هذه الوثيقة الطبية النافعة شرطا أساسيا لا يتم الزواج بدونه حتى يطلع عليها الزوج والزوجة قبل الزواج ليعرف كل منهما حالة شريك حياته الحقيقية خالية من المظاهر والزخارف والمغريات . عند ذلك يشعر كل من الزوجين بأن لديه من المعلومات الحقيقية ما يستطيع به أن يكون رأيا صحيحا عن مقدار ما ينتظره من السعادة أو الشقاء فيوازن بين هذا وذاك وبذلك يستطيع أن يتقدم لاتمام زواجه وهو مطمئن البال أو يحجم عنه وهو مطمئن البال أيضا

فسيفولود جارشين

اربعة ايام

قصة روسية ترجمها الدكتور صبري جرجس

انني لا اذكر الآن كيف كنا نجري في الغابة وكيف كنا نسمع صفير الرصاص المنطلق وحفيف الغصون المتساقطة ، وكيف كنا نشق لانفسنا طريقا من خلال الفروع والاعشاب المكدسة وقد بدا لنا عند حافة الغابة شيء احمر ينطلق هنا وهناك ، ثم كيف رأيت سيدروف - احد افراد الفرقة الاولى - وهو يجلس القرفصاء على الارض فجأة وينظر الي بعينين واسعتين باديتي الرعب ، وكيف رأيت سيلا من الدم يتدفق من فيه . اجل ، اني اذكر هذا تماما كما اذكر اني رأيته .. رأيته على الحافة ومن خلال الاعشاب . . كان جنديا تركيا كبير الضخم الجسم فعدوت نحوه هاجما على الرغم من نحافتي وضآلة جسمي ، وسمعت صوتا كأنه شيء يتكسر . . شيء هائل . . وسمعت ازيزا يدوي في اذني ، وخطر ببالي انه يطلق الرصاص علي ، ولكني سمعته يصيح صيحة تجلى فيها الخوف والرعب ورأيته يحاول الهرب والاختفاء في الاعشاب . وقد كان يستطيع ان يدور حولها ولكنه نسي كل شيء في فزعه والقى بنفسه على الغصون الشائكة . وبضربة واحدة نزعت البندقية من يده ثم صوبت اليه حربتي . وفي الوقت نفسه سمعت صوتا آخر كأنه الزئير او التأوه وكان رجالنا يهتفون مشجعين « هوراه » بينما كانت الطلقات تتوالى والاجسام تتساقط . واذكر انني اطلقت بضع طلقات عندما خرجت من الغابة الى العراء ثم علت الصيحات والهتافات وتقدمنا جميعا الى الامام . وقد يكون خاطئا ان اقول تقدم رجالنا لاني بقيت . وبدا لي هذا عجيبا ، ولكن الاعجب انني في تلك اللحظة كنت ارى كل شيء . . ثم فجأة وعلى غير انتظار اختفى كل شيء من ناظري وخفت دوي الطلقات وصدى الصيحات ثم لم اعد استطيع ان اتبين امامي الا لونا ازرق لعله لون السماء . . وحتى هذا اختفى بعد لحظة فلم اعد اراه .

لم اجد نفسي قط في مثل هذا الموقف الغريب ، فقد كنت راقدا على بطني ولم اكن مستطيعاً ان اتبين شيئاً الا رقعة صغيرة من الارض . . كانت كل دنياي في تلك اللحظة قاصرة على اعواد قليلة من الحشائش ونملة تسير على احدها وبضعة من اوراق الشجر الجافة الباقية من العام الماضي . وكنت ارى كل هذا بعين واحدة لانني كنت احس ضغطا على الاخرى لعله ضغط الغصن الذي كان رأسي مستنداً اليه . ولقد كنت اشعر بضيق لا يكاد يحتمل من بقائي على هذا الوضع ، وطالما حاولت ان اتحرك منه ولكني لعجزي الشديد لم استطع . ومر الوقت وكان يرن في اذني على الدوام صرير الجنادب وطنين النحل . . ولكن لاشيء غير هذا . واخيرا استطعت ان احرر يدي اليمنى لاستعين بها على رفع نفسي عن الارض قليلا

وحاولت . . ولكن شيئا حادا اخترق جسمي في سرعة البرق من الركبة الى الصدر ثم الى الرأس ، فسقطت الى الارض مرة اخرى ، ومرة اخرى وجدت نفسي اعود الى الظلمة .

واستيقظت . لم ار هذه النجوم المتألقة في سماء بلغاريا الصافية ؟ الست في خيمتي الآن ؟ لم تركتها اذن ؟ واحاول ان اتحرك فاشعر بألم مروع في ساقي .

الآن ادركت كل شيء . . لقد جرحت في معركة . اتراه يكون جرحا قاتلا او جرحا تافها ؟ انني احاول ان اتحسس موضع الالم ولكنني اجد ساقي غارقتين في بحر من الدم المتجمد وكلما حاولت ان إمسهما زاد الالم . يا الهي . . انه يشبه الم الضروس . . ذلك الألم المستمر الدائم الذي ينهك ويميت النفس .

ان باذني طنينا وبرأسي ثقلا . . لابد ان ساقي مجروحتان . ولكن ماذا جرى ؟ ولم لم يعثر بي احد ؟ ايجوز ان يكون النصر في جانب الاتراك ؟ واحاول ان استعيد الى ذاكرتي ماحدث لنا . كان كل شيء في اول الامر غامضا ولكن الحوادث اخذت تتجلى في مخيلتي رويداً رويداً . ليس في الممكن انا هزمنا لاني سقطت في العراء على قمة التل (لم اذكر هذا في الواقع ولكنني تذكرت كيف هجم اخواني الى الامام بينما بقيت انا في مكاني غير قادر على الحراك وغير مستطيع ان ارى شيئاً غير رقعة من اللون الازرق)

ولقد قال لنا قائدنا بصوته الجهوري الآمر « سوف نصل الى هناك يارفاق » وقد وصلنا ، وليس

يتفق هذا مع الهزيمة . اذن فلماذا اجد نفسي في هذا المكان ... في العراء ؟ ان كل شيء فيه ميسور الرؤية ، ولست بطبيعة الحال الشخص الوحيد فيه . ينبغي ان ادير رأسي واجيل البصر فيما حولي . وهذا اقرب مثالا الى عزمي الآن لانني حين افقت ورأيت الحشائش والنمل يسعى عليها حاولت ان ارتفع بجسدي عن الارض ولكنني سقطت على ظهري هذه المرة ، وانا لهذا استطيع ان ارى النجوم .

واحاول ان ارفع نفسي مرة اخرى لاجلس ، وليس هذا بالعمل السهل اذا كانت الساقان مجروحتين . ويصيبني اليأس اكثر من مرة ولكني اغالبه بعد ان تمتلىء عيناى بالدموع من شدة الالم . وارى فوق رقعة السماء الزرقاء لقد لمع في وسطها نجم كبير وحاطته طائفة من النجوم الصغيرة . ثم ارى حولي اشباحا طويلة مظلمة هي بغير شك اشباح الشجر والاعشاب . واذن فانا لازال في وسطها .. بقيت هنا دون ان يراني احد .

واحس بشعر رأسي يقف .

ولكن كيف اجدني في وسط الاعشاب اذا كنت قد جرحت في العراء . لابد اني زحفت مجروحا ... مدفوعاً بقسوة الالم . انه ليدهشني ان استطعت ذلك في حين اني الآن لا استطيع الحراك من المحتمل اني لم اصب الا بجرح واحد اذ ذاك واصابني الثاني بينما كنت في الاعشاب .

ثم تبدو في الافق اشعة حمراء تختفي فيها بعض النجوم اللامعة . انه القمر بدأ في الظهور .. فما اجمل هذا المنظر وما اشد روعته !

وتصل الى اذني اصوات غريبة كأنما هي انين وتوجع . ايمكن ان يكون بالقرب مني شخص آخر اصابه النسيان مثلي .. مكسور الساقين او مصاب بالرصاص . ان الانين قريب جدا ولكني لا أرى احداً . يا الهي .. انه مني .. مني انا نفسي ! انين خافت موجع .. ايمكن ان يؤلم الى هذا الحد .. اجل ، لابد انه يؤلم ، ولكني لا استطيع تقدير هذا الالم لان رأسي مضطرب واشعر انه ثقيل كالرصاص .

يحسن بي ان استلقي مرة اخرى وانام .. انام .. انام . هل ياترى سيقدر لي ان استيقظ بعد الهجوع ؟ ولكن ماذا يهم ؟

وبينما ان انأهب للرقاد .. فى هذه اللحظة اللحظة بعينها ظهر شعاع قوى من القمر فأناز المكان واستطعت ان ارى على ضوئه جسما كبيرا ملقى على الارض على بعــد خطوات قليله منى . إنه لن يكون شيئاً آخر غير جثة قتيل او جريح .. ولـكنه لن يعنينى على اى حال .. فلأرقد .

كلا . هذا مستحيل .. ان رجالنا لم يبتعدوا .. انهم هنا بالقرب منى .. انهم هزموا الاتراك وسيطروا على المكان .. لم لا اسمع اصواتهم اذن ؟ ولم اسمع دوى الطلقات ؟ ايكون السبب انى من الضعف بحيث لا استطيع ان اسمع شيئا ؟ لا بد انهم هنا .

« النجدة .. المعونة .. »

ها انا اسمع اصواتا عالية مجنونة تنبعث من صدرى ولكن بغير جواب .. ان صداها يرن عاليا فى سكون الليل ، وكل شىء فى المكان حولى ساكت .. ساكت ماخلا صرير الجنادب الذى لاينقطع . هاندا ارى القمر ممتلىء الوجه .. مطلا على من فوق .. فلعله يشفق على ما انا فيـه من كرب وبلاء .

لو انه كان مجروحاً لايقظته هذه الصيحات ولـكنه قتيل . انه جثة هامدة ! هل هو منا أومن الاتراك ؟ يا إلهى .. ماجدوى هذا السؤال وماذا يعنينى ان كان من اولئك او من هؤلاء ! ان النوم يريحنى وينقذنى من ذلك الالم المحرق الذى احسه فى عينى .

« • »

وارقد مغمض العينين وان كنت لبثت مستيقظاً فترة من الزمن . لا اريد ان افتحهما لاننى على الرغم من ذلك أستطيع أن أحس حرارة الشمس واذا فتحتهما فانهما ستؤلمانني . وفضلا عن هذا فانى أوثر الا أتحرك . وأحس (أظن أنه كان أمس) كنت جريحا . لقد مر على وأنا فى هـذا الحال يوم وستمر أيام وأيام ثم أموت . ان هـذا لا يفهمنى كثيرا ، ولـكن أفضل الا أتحرك ليظل الجسد ساكنا . ما أحسن أن نمنع العقل عن التفـكير ، ولـكن كيف السبيل الى ذلك ؟ ان رأسى لتزدحم فيه الخواطر والذكريات ، ولـكنه لن يبقى على هـذا طويلا . ستجىء النهاية قريبا : لن يبقى منا الا سطوراً معدودة فى احدى الجرائد تقول ان الخسائر قليلة وأن عدد الجرحى بلغ كذا وان واحدا من المتطوعين — هو برايفيت ايفانوف — قتل . ولـكن كلا . لعلهم لن يذكروا حتى الاسم ، ولعلهم

سيكتفون بالقول بأن هناك قتيلا واحداً فقط . جنديا واحداً . سيقولونها ببساطة كما يقول المرء : كلب واحد . ان صورة كاملة ترتسم أمام عيني . صورة شيء في الماضي السحيق . ولكن كل، كل حياتي . كل تلك الحياة كانت قبل وجودي هنا مكسور الساقين من ذلك الماضي السحيق . انني أرى نفسي سائراً في طريق ، ثم أراني وقد قابلت جمعا مزدحما من الناس أوقفني عن السير ، ثم أرى الجمع وقد وقف وأخذ يحملق في سكون الى جسم أبيض تغطيه الدماء وينبعث منه أنين موجع . كان كلبا جميلا صغيرا داسته احدى عربات الترام ، وكان يموت كما أموت أنا الآن . وفجأة رأيت رجلا يشق طريقه في وسط الجمع ويحمل الكلب من طوقه ثم يذهب الى حال سبيله . فيتفرق الجمع ويمضي كل الى شأنه .

أيكون من نصيبي أنا أيضا أن يحملني أحد ؟ كلا ، سأظل هنا حتى أموت . آه ..ما أجمل الحياة! في ذلك اليوم . أعني في اليوم الذي رأيت فيه حادثة الكلب كنت سعيدا . كنت أسير كالنشوان . ومحق . أيتها الذكريات ،دعيني . افرقي عني ،لا تعذبيني ! آه من سعادة الماضي ومن عذاب الحاضر. لخير لي ان أحتمل الألم من أن أقاسي عذاب الذكرى .

ان الجو حار والشمس محرقة . وأنا أفتح عيني فأرى نفس الاعشاب ونفس السماء . ولكن على ضوء النهار . وها هو جاري . أجل انه تركي . جثه هامدة . ما أضخمه . اني أعرفه . انه . .

بجواري يرقد رجل قتلته . لم قتلته ؟ انه جثة هامدة غارقة في الدماء . لم ساقه القدر الى هذا المكان ؟ من عساه يكون ؟ لعله مثلي ذوام عجوز ؟ . ولعلها ستجلس طويلا على باب كوخها متجهة بأنظارها نحو الشمال وقد امتلأ رأسها قلقا وتفكيرا : هل سيأتي ابنها العزيز وسندها وكل أملها في الحياة ؟ وأنا . أنا أيضا سأستبدل مكانه بمكاني انه سعيد . انه لا يسمع شيئا ولا يشعر بألم من جراحه . ولا يحس هذا العطش القاتل . لقد اخترقت حربتي قلبه . هوذا جرح أسود كبير في صدره . وها أنذا أرى الدم يحيط به من جميع نواحيه . وأنا الذي فعلت هذا؟

ولكني لم أقصد الى شيء من ذلك .عندما ذهبت الى الحرب لم يكن في خاطري اني سأقتل أحداً . كل ما كان في خيالي يومئذ هو انني سأهب صدري للرصاص . وقد وهبته .

ثم ماذا ؟ احمق . احمق . ولكن هؤلاء الفلاحين المساكين (كان يلبس زي الجنود المصريين)

أقل استحقاقا للوم منى . لا شك فى أنه لم يسمع عن روسيا أو عن بلغاريا شيئا قط ، ولقد شحن مع غيره فى باخرة وأرسل الى الاستانة . صدر اليه الامر بان يذهب فذهب ، ولو أنه رفض لجلد أو أعدم برصاص أحد الباشوات . وقد قطع المسافة من الاستانة الى روشتشوك سيرا على الاقدام فى رحلات شاقة طويلة . ثم هاجمناهم فدافعوا عن أنفسهم، ولما رأوا اننا لا نخشى رصاصهم وبنادقهم بدأ الرعب يدب الى قلوبهم . ولقد حاول المسكين الفرار . ولكن رجلا قصير القامة صغير الجسم — كان هو مستطيعاً أن يقضى عليه بضربة واحدة من قبضة يده — قفز نحوه وأغمد حربته فى قلبه . فكيف يلام على شىء من هذا ؟ . ولكن كيف الام أنا برغم انى قاتله ؟ كيف الام ؟ لم يعذبنى الظمأ الى هذا الحد ؟ الظمأ ؟ من يستطيع ان يعرف ماذا تعنى هذه الكلمة ؟ لم اشعر بشىء يشبه هذا حتى اثناء سيرنا فى رومانيا حين كنا نقطع خمسين فرسخا فى اليوم وفى جو تزيد حرارته على الاربعين لو ان احدا يجىء ، .. ياالهى ! لا بد ان هذه «الزمزمية» المعلقة فى رقبته ملاى بالماء . لا احتاج الى اكثر من الوصول اليه .. وماذا اتكلف فى هذا .. سأذهب اليه بأى سبيل

هانئذا ازحف .. اجر ساقى ، ولكن ذراعى لا تستطيعان الحراك وجسمى يظل هامدا . ان جثته لا تبعد عنى اكثر من عشرة أمتار ، ولكن يخال لى انى اراها أبعد من ذلك كثيرا .. يخال لى انى اراها على بعد عشرة اميال ، ومع ذلك لا بد لى ان من الزحف . ان حلقى يؤلمنى . كأنما اندلعت فيه النيران ، وان الانسان لتسرع خطاه الى الموت اذا لم يسعفه الماء . ومع ذلك فلا احاول ان ازحف ، ان ساقى ثابتتان الى الارض وكل محاولة للحركة تسبب المًا مروعا لا يطاق .. انى اتأوه انى اصرخ ولكنى مع ذلك لم اتوقف عن الزحف . وهانئذا أصل اليه اخيرا .. وها هى «الزمزمية» فى يدى .. ملاى بالماء .. الى نصفها على الاقل . سيكفينى هذا الماء حتى أموت

لقد انقذتنى ياضحيتى

ثم اتكىء على مرفقى واحاول ان افتح «الزمزمية» ولكنى افقد توازنى واسقط فيصطدم وجهى بصدر منقذى . لقد بدأت رائحة التعفن تنبعث من جثته

« ٥ »

واشرب .. ان الماء ساخن ولكنه غير ملوث .. لا شىء يهمنى ما دام عندى مقدار كبير منه

اذكر انى قرأت فى «فسيولوجية الحياة اليومية» ان الانسان يستطيع ان يعيش اكثر من اسبوع طالما يجد حاجته من الماء ، كما اذكر انى فى الكتاب نفسه قرأت حالة رجل حاول ان ينتحر جوعا فلم يمت الا بعد زمن طويل لانه كان يشرب

حسنا .. ثم ماذا ؟ ماذا يهم اذا عشت خمسة ايام اخرى او اكثر ؟ لقد ذهب رجالنا وفر البلغاريون وليس هناك طريق قريب . سأموت ان عاجلا او اجلا .. وكل ما فى الامر انى بدلا من تحمل الالم ثلاثة ايام سأطيله الى اسبوع اليس من الخير اذن ان اعجل بالقضاء على هذه الحالة . ان بندقية جارى ملقاة الى جانبه ولن يقتضينى الامر اكثر من ان أمد يدى فينتهى كل شىء .. هاهى كومة الرصاص ملقاة على الأرض .. لم يكن عند المسكين وقت لاستعماله !

حسنا ! هل أنهى كل شىء ؟ أو انتظر .. أو ماذا أنتظر ؟ الخلاص ؟ الموت ؟ أو انتظر حتى يعود الاتراك ويسلخوا ساق المجروحتين ؟ خير لى أن أقضى على نفسى بيدى ؟ ... كلا ، ينبغى الا تخوننى شجاعتى ... سأكافح حتى النهاية ... حتى النفس الاخير ، لو وجدنى رفاق لكان فى هذا الخلاص !

من يدرى ! لعله مقدر لى أن أرى وطنى ثانية وأن أرى أمى وماشا ... يا إلهى ! لا تدعهم يعرفون الحقيقة كلها . ليعتقدوا اذا مت انى قضيت على الفور ، فماذا يصيبهم اذا عرفوا انى ظللت فى عذاب يومين أو ثلاثة أيام أو أربعة

ان رأسى يدور .. وقد انهكت الرحلة الى جارى قواى .. والآن بدأت هذه الرائحة العفنة تملأ أنفى .. لقد استحال جسمه الى سواد ، فماذا سيكون من أمره غدا أو بعد غدا انى أرقد فى هذا المكان لانى لا أملك القوة على الابتعاد ، ولكنى بعد أن أستريح قليلا سأحاول أن أزحف ثانية الى مكانى القديم . ان الريح لحسن الحظ تهب من ناحيتى فتبعد الرائحة عنى . انى أرقد هنا منهوك القوى والشمس تحرق وجهى وجسمى لا أجد شيئا أغطى به نفسى ! كم أود ان يجىء الليل ! ستكون الليلة هى الثانية فيما أظن .

ان عقلى يضطرب ، والاراء تختلط فى رأسى .. ثم أغيب عن وعيى

° ° °

لا بد انى لبثت نائما زمنا طويلا لانى حسين صحوت كان الوقت ليلا ، وقد وجدت كل شىء كما كان . انجروحى تسبب لى نفس الالم .. وجارى لا يزال راقدا فى المكان ذاته .. ضخم الجثة كما هو ساكت الحركة . لا مفر لى من التفكير فيه ! امن الممكن انى تركت كل ماهو قريب الى عزيز على نفسى ، واننى سافرت الف فرسخ واننى تحملت الم الجوع وقاسيت قارص البرد ولافح الحر . اصحيح لاجد نفسى فى اخر الامر راقدا هنا . فى هذا المكان مكتويا بنار العذاب .. لا لشىء الا لتنتهى حياة هذا الرجل الشقى على يرى ، لاقتله ؟

قاتل ؟ قاتل ؟ من القاتل ؟ أنا ؟

حينما عقدت عزمى على الالتحاق بالفرقة الذاهبة الى ميدان القتال لم تحاول امى وماشا ان تثنيانى عن عزمى بالرغم من انهما بكيتا كثيرا عن سفرى ، ولم افهم يومئذ (ولكنى افهم الان) ماذا يعنى عملى هذا لاقرب الناس الى . ولكن لم اذكر كل هذا ؟ ان ما وقع لا يمكن الا يكون . ما عقب بعض معارف على عزمى هذا . لقد قال احدهم يومئذ « ياله من احمق متقلب .. ايقدم على عمل لايدرى شيئا عنه ؟ » . كيف يقولون مثل هذا الكلام عنى ؟ وكيف يتفق مع البطولة والوطنية المعروفة عنهم ؟ لقد كنت فى نظرهم متمتعا بجميع الصفات والفضائل ، ومع ذلك قالوا انى « احمق متقلب »

واخيرا ذهبت الى كيشينيف ، وهناك تزودت بكل مايحتجه الجندى من زاد وسلاح . وانتظرت مع الاف غيرى ، ولكن المتطوعين مثلى كانوا افرادا قلائل فى كل هذا الجمع الحاشد . اما الباقون فلا شك انهم كانوا يؤثرون البقاء فى منازلهم لو انهم اعطوا الخيار . ومع ذلك فقد كنا جميعا نسير فى خطوة واحدة وعلى قدم المساواة ، نقطع آلاف الاميال ونحارب بكل ما طاقتنا من همة وجهد . انهم كانوا يؤدون واجبا وحسب لانهم كانوا يؤثرون البقاء فى منازلهم لو كانوا يستطيعون .

ثم هب نسيم الصباح العليل واختلجت الاغصان وصحا عصفور من نومه وأخذت النجوم تتلاشى رويدا رويدا وتختفى وشحب لون السماء وبدت فيه بضع سحب باهتة . انه بدء اليوم الثالث من .. ماذا اسميه ؟ الحياة ؟ او العذاب ؟

اليوم الثالث .. كم يوم غيره باترى . لن تكون أياما كثيرة على أى حال .. فانى ضعيف منهوك

القوى وليس فى مقدورى ان ابتعد عن الجثة .. عما قريب سنكون سواء .. لن يسبب أحدنا الاشمئزاز لاخيه

أريد ان أشرب .. ماشرب ثلاث مرات فى اليوم .. صباحا وظهرا ومساء

* * *

ارتفعت الشمس فى صفحة السماء .. وبدأ قرصها الذى تخللته فروع الاشجار احمر كالدم . يخال لى ان اليوم سيكون شديد الحراره . ايها الراقد الى جوارى ! ماذا عسى ان يكون من امرك اليوم . ان رائحتك لاتطاق منذ الآن .

اجل .. ان هيئته اصبحت مروعة . لقد انتفش شعر رأسه وزاد لون وجهه سواداً على سواد ، وامتط الجلد فوق جسمه المتفخ حتى ظهر عليه التشقق فى بعض الجهات ، واخذ الدود يسرى فى الجثة المتعفنة فى جموع كثيرة ، وظهرت فقعات كبيرة فيا بين ازرار الصديرية ، وبدت الجثة كانها شىء ضخم يشبه الجبل الصغير . فماذا سيكون من اثر الشمس عليها اليوم ؟

انى لا اطيق البقاء الى جانبها اكثر من هذا . لابد من الابتعاد مهما كلفنى ذلك من الطاقة والجهد .. ولكن أأستطيع ذلك ؟ انى لا أزال قادرا على رفع يدى وفتح « الزمزمية » لتناول الماء ولكن هل أستطيع أن أحرك جسمى الثقيل الهامد ومع ذلك لا بد لى من الابتعاد .. سأتحرك ولو نصف متر كل ساعة .

شغلت فترة الصباح كلها فى هذه الحركة .. ان الالم شديد ولكن هذا لا يعنينى الآن .. لقد أفقدنى القدرة على تذكر بل على تخيل كيف يشعر المرء وهو سليم معافى .. ويخال لى أننى من شدة ما قاسيت أصبحت متعودا على الألم بحيث لا أستطيع الحياة دونه . لقد أفلحت بعد جهد كبير فى الابتعاد ستة أمتار .. ثم وجدت نفسى فى مكانى القديم .. ولكننى لا أستطيع التنعم بالهواء النقى وكيف أستطيع ذلك وأنا أرقد على مسافة ستة أمتار فى جثة متعفنة . لقد تغير اتجاه الريح فأصبح الان يحمل تلك الرائحة الكريهة نحوى ويبعث الغثيان الى نفسى ، وها قد بدأت معدتى الفارغة تتقلص فى انقباضات مؤلمة من قسوة الجوع .. ان كل شىء فى داخلى يبدو صغيرا ، والهواء النتن يلفح وجهى

وفى غمرة اليأس من كل شىء وجدتنى استسلم الى البكاء والنحيب

• • •

بنفس منكسرة وأمل متهدم رقدت فى ذلك المكان فاقد الوعى . وفجأة .. أهو الوهم الذى لا يصدر الا عن مخ مشوش ؟ يخال لى انى اسمع .. كلا .، نعم .. اسمع أصواتا . أصواتا بشرية .. ووقع أقدام بعض الجياد .. فأ كاد أصرخ ولكنى أمنع نفسى . اليس من الجائز أن يكون القادمون من الاتراك ماذا تكون نهايتى لو أنهم كانوا كذلك فعلا ، أمر سهل .. سأقاسى الى جانب ما احتملته من الالم والعذاب آلاما أخرى أشد قسوة وأ كثر فظاعة .. ان مجرد التفكير فيها يجعل شعر رأسى يقف رعبا .. سيسلخون جلدى ويشوون ساق .. وليتهم يقتصرون على هذا . بل انهم سيفتنون فى تعذيبى .. افيكون الأفضل فعلا أن أقابل الموت على أيديهم أو أن أموت هنا ؟

ولكن .. ولكن اليس من الجائز أيضا أن يكونوا من رجالنا ، أيتها الأغصان اللعينة لماذا تحيطين بى على هذا النحو الكثيف . انى لا استطيع ان أرى شيئا من خلالها الا من ناحية واحدة حيث تنفرج قليلا فألمح واديا على بعد ، وانى لا أذكر الآن ان هذا الوادى كان فيه ماء يجرى وقد شربنا منه قبل بدء المعركة . اجل .. وها هى قطع الاحجار الكبيرة الملقاة فى الماء لتكون جسرا .. ان الاصوات خفتت فلا استطيع أن أتبين بأى لغة يتحدثون . وسمعى أخذ يتلاشى رويدا رويدا ! يا الهى .. لو كانوا من رجالنا . سأصيح وسيصل صوتى الى مسامعهم ولو كانوا على الضفة الأخرى من الوادى .. فان هذا خير لى من خطر الوقوع فى أيدى « الباشبوزق »

لماذا لم يحضروا حتى الآن ، ان صبرى نفد وأكاد أموت ضجرا .. لم أعد أهتم برائحة الجثة الآن وان كانت لا تزال كما كانت خبيثة نتنة

ثم فجأة أرى القوازق يعبرون الجسر فى ازيائهم الزرقاء . ورماحهم الحمراء انى أرى نصف فرقة منهم ، وفى مقدمتهم ضابط ذو لحية سوداء يمتطى جوادا جميلا . وما فرغوا من عبور الجسر حتى التفت الضابط نحوهم وصاح فيهم قائلا « الى الامام »

ورأيتنى أصيح « قفوا .. قفوا .. النجدة يا اخوانى .. المعونة » . ولكن صوتى المبحوح ضاع بين حوافر الجياد وصليل السيوف وضجة الراكبين .. انهم لم يسمعونى ولن يسمعونى . وفى غمرة

اليأس دفنت وجهي فى الارض وأخذت انتحب . ولـكن هذه الحركة المفاجئة قلبت « الزمزمية » على الارض فسأل منها الماء . الماء الذى هو حياتي والذى فيه خلاصي والذى هو أملي الوحيد فى النجاة من الموت . ولـكنى لم التفت الى هذا حتى كان الماء كله قد سال على الارض ولم يبق منه الا مقدار قليل لا يتجاوز نصف كوب . أما الباقى فقد ذهب . امتصته الارض بنهم وجشع كأنما هى فى حاجة اليه !

هـل أستطيع أن أصف الجمود الذى عرانى بعد هذا الحادث المروع ؟ لقد رقدت هامد الحركة مغمض العينين ، وكان اتجاه الريح دائم التغيير فـكان تارة يحمل الى أرق النسيم وكان تارة أخرى يحوطنى بانتن الرائحة . وكان جارى فى ذلك اليوم بشعا الى درجة لا تحتمل ولا توصف . ولقد اخطأت مرة وفتحت عيني واتجهت ببصرى اليه فراعنى منه مارأيت. لم يكن له وجه يستطيع المرء أن يرى حـدوده ، وكان جلده قد انفصل عن عظامه فطبع سحنته بعبوسة مروعة اخافتنى وملأتنى بالنفور والاشمئزاز على الرغم من أنى كثيرا ما أمسكت بالجماجم فى يدى وشرحت الرؤوس ، وكانت جثته فى زيها العسكرى تبعث الرعشة فى الابدان . أفتكون هذه هى الحرب ، ويـكون هـــذا هو شعارها ؟

وكانت الشمس محرقة كعادتها . وعلى الرغم من أن وجهي ويدى قـد اعتادت احتمال الحرارة لـكثرة ما أصابها من لفحة الشمس الا انى كنت اتألم . وقـد شربت ما تبقى من الماء حتى القطرة الاخيرة ، فقد آلمنى الظمأ حتى انى — برغم تصميمى على الاكتفاء بجرعة واحدة — لم أكد أحس الماء على شفتى حتى ارتشفته كله مرة واحدة . آه ! لم لم أصح على القوزاق حينما كانوا بالقرب منى ؟ أمد نهايتى لتكون خيرا مما أعانى الآن حتى ولو كانوا من الاتراك . فقصارى ما كنت سأراه منهم عذاب ساعة أو ساعتين . أما الآن فلست أعرف كم من الزمن سيمضى وأنا راقد على هذا النحو . اقاسى وأتألم وأحتمل العذاب .

يا أمى . . يا أمى العزيزة ! ستمزقين شعرك الذى استحال الى بياض ، وستضربين رأسك فى الجدار، وستلعنين اليوم الذى رأيت فيه النور. ستلعنين الدنيا التى اخترعت الحرب لعذاب الانسان.

ولـكن الارجح انك لن تعرفى شيئا ممـا قاسيت . ولا ماشا أيضاً . الوداع يا أماه . الوداع

ياعروسي . يا حبيبتي . آه ما اقسى الحياة وما أمرها . ان قلبي يهبط

وذلك الكلب الابيض الصغير ! لم يكن عند البواب رحمة به أو شفقة عليه . لقد ضرب رأسا في الجدار ثم القاه في المكان الذى تلقى فيه القاذورات . ولكن المسكين لم يمت على الفور . ظل حيه يقاسي الالم يوما بتمامه . أما أنا فقد لبثت اتعذب ثلاثة أيام . وسيكون غدا هو اليوم الرابع . وبعدئذ الخامس والسادس . أيها الموت ! أين أنت ؟ خذني اليك . انقذني من هذا العذاب

ولكنه لا يريد أن يأتي . وها أنذا أرقد تحت الشمس المحرقة بغير قطرة ماء أبل بها حلقي الملتهب . ثم هذه الجثة اللعينة . انها الآن كومة من التعفن والنتن ، وهاهي الديدان تتساقط بالمئات بعد أن تنال نصيبها منها وستلتهمها كلها فلا يبق منها غير العظام والملابس . ثم سيأتي دوري بعدئذ سأصير الى ما صار اليه جاري !

ويمر النهار ثم يجيء الليل . وكل شيء كما كان تماما . ثم يبزغ الفجر ويتقدم النهار رويدا رويدا .

• • •

ويهز الريح أغصان الشجر فيسمع لها صوت كانه الهمس ، وأخا لها تقول « ستموت . ستموت ستموت »

فتجيبها الاغصان المقابلة « لن يموت . لن يموت . لن يموت »

وفجأة أسمع صوتا عاليا بالقرب مني يقول « انك لن تستطيع أن تراهم من هنا » فاعود الى وعي فزعا

وافتح عيني فارى أحد الجنود يطل على خلال الاغصان بعينين يفيضان عطفا وحنانا وهو يقول « الى بالمعاول . يوجد هنا أثنان . واحد من رجالنا . والثاني من رجالهم . »

وأحاول أن أقول « كلا . لا تحضر المعاول . لا تدفني . اني لا أزال حيا » فتحتبس الكلمات على لساني . ولا تنفرج شفتاى الا عن أنين خافت !

ويصيح الرجل ذاهلا « يا الهي ! من الممكن انه لا يزال حيا . انه ايفانوف ! هيا يا رفاق . .

اسرعوا .. ان صديقنا لا يزال حيا .. اسرعوا بالطبيب »

* * *

بعد لحظة كانوا يصبون الماء والفودكا وشيئا آخر لا اعرف ماهو فى حلق .. ثم بدا كل شيء مظلما امام عينى

ثم احسست النقالة تتحرك فى هزات منتظمة فافقت لحظة ولكنى غبت عن وعيى ثانية . لم تعد جروحى تؤلمنى الان . وغمرتنى موجة من الفرح سرت فى كيانى كله

« قفوا .. اخفضوا النقالة قليلا .. ارفعوها .. سيروا » كان يصدر هذه الاوامر وامثالها بيتر ايفانوفتش ضابط الصليب الاحمر ، وكان رجلا نحيفا طويلا القامة .. طويلا الى درجة انى لم اكن استطيع ان ارى غير رأسه وكتفيه على الرغم من ان نقالتى كانت محمولة على اكتاف اربعة رجال طوال اشداء

واستطعت ان اناديه « اسيدى بيتر ايفانوفتش »

فاجاب وهو يميل على « ماذا تريد ياحبيبي »

قلت « ماذا قال لك الطبيب ! هل قرر انى سأموت قريبا ! »

« كلا يا ايفانوف .. لن تموت ، فان كل عظامك سليمة .. انك حسن الحظ ، كل عظامك وشرايينك ! ولكنى كيف استطعت ان تقاوم وتحيا هذه الثلاثة الايام والنصف ! ماذا كنت تأكل ؟

« لا شيء »

« وماذا كنت تشرب »

اخذت زمزمية التركى .. انى استطيع الكلام الا ان يابيتر ايفانوفتش .. وبعدئذ »

« حسنا . ليكن الله معك ياعزيزى .. نم .. نم .. »

ومرة اخرى فقدت الوعى ورحت فى سبات

* * *

وصحوت فوجدت نفسى فى المستشفى العسكرى . كان جمع من الاطباء والممرضين يحيطون بى وكان بينهم جراح شهير من جراحى العاصمة يفحص عن ساقى وكانت يده ملوثة بالدم واستغرق فحصه بضع لحظات ثم التفت الى وقال « عليك ان تشكر الله لهذا الحظ الحسن . ستعيش .. لا بد من بتر احد ساقيك ولكن هذا لا يعنى شيئا .. هل تستطيع الكلام !

نعم .. استطيع الكلام .. وها أنا اروى لهم ما ذكرته هنا

تحية فى تبت

يرى القارىء هنا صورة صبى يحيى الآخر فى تبت . والتحية هنا هى اغماض العينين واخراج اللسان . وهذا الصبى هو احد صبيان تبت . وهو قطر يقع بين والصين الهند على امتداد جبال حملايا . ومرتقى هذه الجبال شاق ولذلك قل ان يقصد احد من الاجانب الى تبت



ولهذا السبب انفرد السكان بعادات لا تعرفها سائر الامم منها هذه التحية العجيبة . ويبلغ السكان نحو ثلاثة ملايين منهم نصف مليون راهب بوذى يأكلون دسم البلاد باسم الدين والتقوى . واديرتهم تملك نصف الارض الزراعية . وهم يشربون الشاى مخلوطا بالملح والزبدة للبرد القارس الذى لا يبرحهم طول العام حتى فى الصيف حين تبلغ الحرارة وقت الظهر تحت ١٥ الصفر

السيادة العالمية وأقدم عقيدة عن التوحيد

عن كتاب «فجر الضمير» للمصرلوجي الامريكي برستد

للانسة اريس حبيب المصري

كان الميدان الاجتماعي هو اعظم ما شغل بال المفكرين في عهد مصر الاقطاعي فظهر اثره في الدين والادب . كما كان ميدان السياسة هو الشاغل الاول للمصري في عصر الاهرام . ومن المؤكد ان المصري في عهد الاهرام كان قد لمح بصيصا من الرؤيا فاحس بأن سلطة الاله الشمس واسعة المدى حتى اننا نجده يخاطب في احدى ملفات الاهرام بتلك الكلمة الهائلة «غير المحدود»

ولقد رأينا ايضا ان بتاحوتب وغيره من المتأملين في عصر الاهرام قد اوجدوا مستوى عاما للقيمة الادبية ونسبوا للاله الشمس انه صاحب السيطرة على هذا العالم الادبي ، وبعملهم هذا خطوا أول خطوة في الطريق المؤدي الى التوحيد . ونذكر كذلك ان التعاليم التي خطها ذلك الملك الهيراكليوبوليسي المجهول قد خطت بالمصريين خطوات واسعة في هذا الطريق عينه . وبواسطة ادراكهم لنظام ادبي هائل كانوا منذئذ قد اوجدوا له كلمة تعبر عنه وكان من الممكن لهم حينئذ أن يتقدموا بالتدريج صوب الادراك الحق للتوحيد كما فعل من جاء بعدهم من الفلاسفة ورجال الدين ولكن الواقع ان هذا النظام الادبي ظل فكرة مصرية قومية فحسب ولم يمتد الى أبعد من حدود مصر .

وكان الاله الشمس حاكما على مصر ومصر وحدها . وفي التسبحة التي لا تزال باقية للان ضمن ملفات الاهرام نراه يقف حارسا على الحدود المصرية حيث يبني البوابة التي تحول دون دخول الاجانب الى مملكته المنيعة التي لا ترام

ومنذ عصر الاهرام كان الاله الشمس قديداً يتشرب صفات الآلهة الآخرين ويمتصهم ـ وكانت نتيجة امتصاصه هذا إن الآلهة جميعا تشابهوا واندمج الواحد منهم في الآخر حتى انتهى بهم الامر الى ان يكونوا جميعا أشكالا وأعمالا متعددة لشخصية واحدة . ولـكن على الرغم من هذه النتيجة فقد كان الاله الاعلى (الذى يرمز اليه جميع الآلهه) مسيطرا على مصر ليس له سلطان خارج حدودها ، فكان بعيدا جدا عن ان يكون الها عالميا . فلم يدرك المصريون اذ ذاك فكرة العالمية ، او الامبراطورية العالمية التى يقيمون لها الهم حاكما اوحد . فقد كانت بيئتهم محصورة ضمن حدود مصر ولم يذهبوا فى تفكيرهم الى ابعد مما تمكنهم تلك البيئة الضيقة ، ولكن حالما اتسع سلطان مصر وازدادت قوتها وسطوتها اتسع الافق امام عيونهم فازداد مدى تفكيرهم وعلمهم . ولقد كان تطور فكرة الاعتقاد بالاله الشمس تابعا للتطور القوى — فلما اتسع سلطان الفراعنة وامتد الى ماوراء مصر ولم يعد الافق افق مصر وحدها بل صار افقا عالميا تطور الاعتقاد الدينى ايضا فى الاتجاه عينه .

ولقد اتسعت غزوات مصر وامتد سلطانها شمالا وجنوبا حتى صارت شعوب آسيا وافريقيا المتباينة تدين بالولاء لفرعون الذى وحد بينها وألف منها اول امبراطورية ثابتة الدعائم فى التاريخ ـ وكانت هذه الامبراطورية هى أعظم حدث فى القرن السادس عشر قبل الميلاد . وقد عزز تحتمس الثالث هذه الامبراطورية وقوى دعائمها بحملاته التى دامت عشرين سنة فى آسيا . وان فتوحاته لهى عمل مثير للانفعالات حتى الآن اذ نستطيع ان ندرك خلالها قيمة التنظيم الدقيق والاستعانة به بلا انقطاع على شعوب آسيا الغربية حتى صارت سيادة مصر سيادة منقطعة النظير

وأصبح فرعون صاحب الكلمة المسموعة من الجزر اليونانية وحدود آسيا الصغرى ومرتفعات نهر الفرات شمالا إلى الشلال الرابع للنيل جنوبا . وكان هذا القائد الحربى العظيم (أى تحتمس) هو بعينه الذى قال مشيراً إلى الاله الشمس : « إنه يرى الأرض كلها فى كل ساعة » . فان صحت كلمته فانما يرجع ذلك الى سيف فرعون الذى به امتدت سلطة مصر فحمل سلطة اله مصر إلى آخر أرجاء الامبراطوريه المصرية . وكان تحتمس الأول قد أعلن قبل ذلك بخمسين سنة أن مملكته بعيدة « كدائرة الشمس التى تدور حولها » . وكان الاله الشمس فى عصر الدولة القديمة هو فرعون ، ومملكته هى مصر ، وباتساع الدولة المصرية الى امبراطورية عالمية لم يكن بد من أن يتسع نفوذ الاله

أيضاً ، وكما أن الدين كان منذ أقدم الأزمنة الوسيلة للتعبير عن سيادة الدولة فكذلك كان للفتوحات الحربية أثر على التفكير الديني — أي أنه كان من الضروري أن تتمشى الفكرة الدينية والسيادة السياسية معاً .

ولكن صحب هذا التطور الطبيعي الآلي يقظة فكرية هزت التقاليد المصرية القديمة هزة عنيفة وحركتها في الصميم فاندفع المصريون يفكرون في عالم اوسع . لقد كان الاله الشمس فرعونا مصرياً مدى ألفين وخمسمائة سنة ـ فرعونا يحكم مصر ـ ولكن بعد سنة ١٦٠٠ ق . م . صار الفرعون سيد الكل في العالم المتمدين . والفاتح تحتمس الثالث كان أول شخصية عالمية في التاريخ البشري ـ أو بالحرى كان أول بطل تجاوزت شخصيته حدود بلاده . ولأنه كان بطلا عالميا لا محليا فقد كان أثره عميقا بعيد الغور ـ إذ كان رمزاً للسيادة العالمية وفيه تلمس المصريون الصورة المحسوسة لفكرة الامبراطورية العالمية . ومن هذا الأثر نرى فكرة العالمية وهي تتسرب إلى التعاليم الدينية . فان مصر اضطرت بسبب فتوحات فراعنها إلى أن تترك عزلتها القديمة وتتجاوز حدودها الضيقة وتقتحم أبواباً عالمية فكان لا بد لها في علاقاتها الجديدة مع الغير من أن تطور معها فكرة الاله الشمس . ومع أن مصر كان لها صلات تجارية مع غيرها من الأمم منذ عهود سحيقة في القدم غير أن هذه الصلات لم تقرب العالم الخارجي إلى المصريين فلم يفكروا فيه . وكانت سلطة الالهة المصريين في تلك العصور السحيقة تقف عند الحدود الطبيعية لوادي النيل قبل أن يتعرف المصريون الى العالم الخارجي ، ولم يكن من شأن الصلات التجارية المحضة أن تغير من تقاليد تلك العصور . فكم من تاجر رأى حجرا يسقط في بابل وفي طيبة بنفس الطريقة ولكن لم يخطر على باله قط « ولا على بال احد آخر من أهل ذلك العصر السحيق » أن ناموساً واحدا هو الذي يعمل عمله في كلتا البلدتين . وكم من تاجر أيضا رأى الشمس تشرق من وراء ابراج المبا كل في بابل كما تشرق على مجموعة المسلات والمبا كل في طيبة ولكن الفكر البشري في ذلك العصر البعيد لم يكن قد وصل بعد إلى إيجاد الصلة بين هذه المظاهر الواحدة على الرغم من أن الفاتح نفسه قال عن الاله الشمس : « أنه يرى الأرض كلها في كل ساعة » . فان حكمته هذه انما كانت تعبر عن فكرة العالمية كما تجسمت في السلطة الامبراطورية وكما رآها المفكرون من رجال ذلك العصر وأدركوها بتخيلهم — فتراءى لهم اتساع سلطة الاله

الشمس وامتدادها كحقيقة ملموسة . فلم يكن التوحيد سوى الامبراطورية الدينية.

فليس من الغريب إذن أن نجد حوالى سنة ١٤٠٠ ق . م . فى عصر الملك امينهوتب الثالث « أكثر الفراعنة بذخا وترفا » أول تعبير عن هذه الفكرة العالمية . فقد ترك لنا الاخوان التوأمان سوتى وهور حجرا نحتت عليه تسبحة للاله الشمس تمثل لنا روح ذلك العصر — وكان هذان الاخوان مهندسين فى خدمة امينهوتب الثالث . والتسبحة التى تركاها لنا موجودة الآن بالمتحف البريطانى وهى تريتا مدى اتساع الافق أمام مدارك رجال الامبراطورية والنظرة البعيدة التى كانوا يتأملون بها سلطة رع التى أصبحت فى نظرهم غير محدودة . وتتضمن تلك التسبحة هذه الايات ذات الاهمية الخاصه :

. . . .

انت صانع تكون أعضاءك الخاصة

خالق من غير أن تخلق

منقطع النظير فى صفاتك متنقلا فى الأبدية

متخطيا المسالك والملايين من البشر تحت قيادتك

. . . .

حين تجتاز الأجواء يراك جميع الناس

مع أن طريقك خفى عن عيونهم .

. . . .

إنك تسافر سفرا طويل المدى

هو ملايين ومئات الالاف من الزمن —

كل يوم تحت أمرك .

وحين يأزف موعد غروبك

تنقاد اليك ساعات الليل كذلك .

وحين تعبرها

لا ينتهى جهادك

وكل الناس ترى بواسطتك

. . . .

خالق الكل وواهب الكل ارزاقهم

. . . .

أم رؤوم للالهة والبشر ،
صانع مدرب ،
راع مقدام يقود قطيعه
الى ملجأهم ويعطيهم طعامهم

. . . .

الذى يرى كل ما خلقه
السيد الاوحد الذى يسبى البلاد كلها يوميا
كمن يرى كل السائرين فيها ،
مشرق فى السماء .. كائن كالشمس ،
قد رتب الفصول تبعا للشهور ،
أوجد الحر حين شاء
والقر حين شاء

. . . .

كل بلد فى فرح
عند شروقه كل يوم ليسبحوه ..»

ومن الواضح من مثل هذه التسبحة ان المدى الهائل الذى يسلكه الاله الشمس فوق كل البلاد وكل الاجناس قد صار الان موضع الاهتمام .. وخطا المصريون هذه الخطوة الخامسة ـ خطوة التفكير فى امتداد سلطة الاله الشمس الى كل الشعوب وكل الاقطار . ولم توجد بين كل ما تركته لنا مصر فى العصور السابقة كلمة تعبر عن تلك الفكرة بطريقة لا تبارى كما نجد فى هذه التسبحة

« السيد الاوحد الذى يسبى البلاد كلها يوميا
كن يرى كل السائرين فيها »

ومن المهم ان نلاحظ ان التطور متصل مباشرة بالحركة الاجتماعية التى تمت فى عهد الاقطاع مثل هذه الصفات المعطاة للاله الشمس :

«راع مقدام يقود قطيعه
الى ملجأهم ويعطيهم طعامهم»

ترجع بنا من غير شك الى تعاليم الموجهة الى مريكرى حيث يقول عن الناس انهم « قطعان الله » والى تأملات ايبوور وكلمته عن « راعى جميع الناس » . والصفة المدهشة الاخرى وهى :

« أم رؤوم للآلهة والبشر »

تتضمن هى ايضا معنى الحنان والاهتمام بالبشرية فمظاهر الرفق والاحسان التى اعلنها مفكرو العصر الاقطاعى عن الاله الشمس كانت لاتزال قوية الاثر حتى وسط الاغراض السياسية القوية التى نشأت عن الامبراطورية الجديدة

وحين اعتلى امينهوتب الرابع العرش بعد ابيه (امينهوتب الثالث) حوالى سنة ١٣٧٥ ق . م قام نزاع عنيف بين البيت الملكى من جهة وبين الكهنوت المنظم الذى يدين بدين الاله امون من الجهة الاخرى .

ومن الظاهر ان الملك الشاب كان ميالا الى الاقرار بسلطة رع الاله الشمس مناوئا لأمون اله طيبة الذى اصبح كهنته من النفوذ والقوة بحيث اطلقوا على اسمه ـ وهو الذى كان حتى ذاك العهد مجرد اله مجهول ـ اسم « امون رع » وبذلك جعلوه مندمجا فى الاله الشمس متخذا صفاته . وكان امنهوتب الرابع فى اول عهده قد ناصر بحماسة شكلا جديدا لعبادة الشمس القديمة ـ شكلا ربما كان المقصود منه ايجاد الحل الاوسط بين الاثنين . وفى وقت كان مركز مصر قد بلغ فيه منتهى الحرج وسلطة الفرعون مهددة اندفع بغيرة عجيبة فى طريق الفكرة العالمية الجديدة التى تلمسناها فى عهد ابيه . وقد اطلق على الاله الشمس تعبيرا جديدا حرر المعتقد الجديد من كل التقاليد القديمة وقطع الصلة بينه وبين الآلهة فى عبادة الاله الشمس القديمة فصار الاله الشمس يسمى « اتن » وهو اسم قديم للشمس

المنظورة. ومن المرجح ان معناه قرص الشمس . وهذا الاسم ورد مرتين فى تسبحة المهندسين اللذين خدما امنحوتب الثالث ـ وهى التسبحة التى اقتطفنا منها بعض ابيات ـ وحاز رضى الملك الشاب (امنحوتب الرابع) حتى انه دعا احدى زوارقه الملكية « اتن يشع » . ولم يأخذ الاله الشمس اسما جديدا فحسب بل اعطاه الملك الشاب رمزا جديدا . وانا لنتذكر ان الرمز القديم للاله الشمس كان هرما كما ان الصقر كان يرمز اليه ايضا . ولكن هذه الرموز لم يكن فى الامكان ادراك مغزاها بسهولة الا فى مصر وحدها اما امنحوتب الرابع فكان يمتد ببصره الى افق اوسع من افق مصر . فكان الرمز الجديد صورة للشمس تنبعث منها الاشعة فى هيئة خطوط متجهة الى اسفل وينتهى كل شعاع منها بيد بشرية . وكان رمزا فعالا حقا ، صورة القوة المنبعثة من مصدرها السماوى ، المهيمنة على عالم البشر . ولقد كان المصريون منذ عهد الاهرام يشبهون اشعة الشمس بالاذرع ويعبرون عنها بانها رسل الاله رع فى الارض : « ان ذراع الاشعة مرتفعة من الملك « يونيس » رافعة اياه الى السماء » ومثل هذا الرمز كان صورة صحيحة للفكرة الجديدة كما انه كان فى متناول جميع الشعوب ان تدرك شعوب ذلك العالم الذى يخضع لسلطان فرعون . وكان معناه واضحا تماما لا يعسر على الاسيوى على شاطىء الفرات ولا على النوبى الى جانب النيل السودانى ان يدركاه مباشرة . فلم يكن رمزا للعالمية فقط بل أنه كان جديرا بأن يكون رمزا ساميا لها .

كذلك قام امنحوتب الرابع بمجهود لكى يقرب الى الاذهان معنى السلطة الالهية الشمسية التى رمز اليها بذلك الرمز الجديد . فكان اسم الشمس « حاراكت » ومعناها « هورس الافق » متهللا فى الافق باسمه « الحرارة التى هى فى اتن » . وكان يكتب داخل شعارين ملكيين كالاسم الفرعونى المزدوج ـ وهذه وسيلة اخرى ترينا كيف ان اتساع السلطان السياسى ادى الى هذا التطور الدينى . ولكن ذلك الاسم المكتوب داخل الخرطوشين لم يكن سوى تعريف عام اجمالى للقوة المادية المحسوسة التى للشمس فى عالم المرئيات . ولم يكن تسمية لاية قوة سياسية . والكلمة المترجمة الى « حرارة » تعنى احيانا « النور » ايضا . فكان من الظاهر ان الملك يؤله القوة التى بها يدرك الناس سلطة الشمس على الارض . والتسابيح العديدة التى كتبت لاتن فى ذلك العصر تثبت هذا التاليه اذ هى جميعا تصور اتن عاملا على الارض بواسطه « أشعته » . ومع أنه من الواضح ان المعتقد الجديد استمد وحيه من هليو بوليس حتى ان

الملك عند اتخـــاذه مهمة الكاهن الاعظم دعا نفسه : « الرائى الاعلى » الذى هو لقب رئيس كهنة هليوبوليس ، الآن كل المظاهر الخارجية التى اتصلت فى الاذهان بالعبادة القديمة اهملت . وعبثا نبحث عن الزوارق الشمسية او عن وصف اسفارها فى المغاور السفلى اذ استغنى الملك عن هذا جميعه

ولئن كان المقصود من تسمية المعبود الجديد باسم آتن ومعنـاه قرص الشمس محاولة ترضى كهنة أمون رع ـ الاله الشمس ـ فان هذه المحاولة انتهت بالفشل ولم تلبث ان قامت عداوة مرة وبلغت حدتها مبلغا انتهى الى عزم الملك على ان ينشر عبادة آتن وحده ويجعله الاله الاوحد للامبراطورية ويقضى على عبادة أمون وغيره . وكان المجهود الذى بذل فى محو كل اثر من آثار « المحدث » امون مجهودا قويا بالغا اقصى حدود الشدة . فغير الملك اسمه من امينهوتب ومعناه « امون مرتاح او مغتبط » الى اخناتون أى « آتن مغتبط » ومحا اسم امون حيثما وجده على الآثار والهياكل الرائعة فى طيبة . ولم يتراجع الملك عن هذا المحو حتى فيما يتعلق باسم ابيه . وحتى كلمة « آلهة » كانت تمحى كلما وردت كما محيت اسماء الآلهة الاخرين

ولان طيبة كانت العاصمة للتقاليد الدينية ، ولانها كانت مزدحمة بالالهة وبهياكلهم ، وكانت صورة لمجدهم وعظمتهم ، فقد ترك اخناتون طيبة وبنى له عاصمة جديدة تقع فى منتصف الطريق بين طيبة والبحر فى مكان يعرف الآن بتل العمارنة . ودعا مدينته الجديدة اخيتاتون « افق اتن » وكذلك اسست مدينة لآتن فى نوبيا ومن المرجح انه اسست باسمه مدينة ثالثة فى آسيا . وهكذا قامت فى كل جزء من اجزاء الامبراطورية مدينة جديدة هى مركز للمعتقد الجديد . والى جانب هذه المدن قامت هياكل فى مختلف المدن فى مصر

ولم يـكن هـذا العمل ممكنا لو لم يقم حزب قوى يحيط بالعرش وبه يستعين الملك فى مناوأة خصومه وخصوصا كهنة أمون الذين تداعى سلطانهم . ولا شك فى ان الهزة العنيفة التى انتابت مصر من جراء الخصومة مع هؤلاء الـكهنة اثرت فى سلطة الاسرة المالـكية . وكانت حياة هـذا الحزب المالـكى الجديد التى ازدهرت فى اخيتاتون تقوم على نشر الدين الجديد . وان ماخلفه لنـا اشراف ذلك العصر فى قبورهم التى امر الملك بنحتها لهم فى المرتفعات الشرقية خلف المدينـة الجديدة هو من غير شك اروع واشوق ما دونه لنا تاريخ الشرق القديم . وانا لمدينون الى هـذه

القبور بما نعرفه عن التعاليم المدهشة التى اعتنقوها وعملوا على نشرها . وهى تتضمن مجموعة من التسابيح مدحا للاله اتشمس او للاله الشمس وللملك بالتناوب . وهى ترسل الينا قبسا من النور عن العالم الفكرى الجديد الذى نرى فيه هذا الملك الشاب واتباعه متطلعين بابصارهم مجاهدين ليدركوا الله فى مداه اللانهائى ـ الله الذى لم يحدماله وادى النيل فحسب بل اله البشرية باسرها واله العالم كله . وليس أوقع هنا من سرد بعض هذه التسابيح وهى وحدها دليل ناطق ليس فى حاجة الى ايضاح . والتسبحة التالية هى اطولها واهمها :

المجد والبهاء والقوة لآتن اله الكون
انك تشرق بالجمال فى افق السماء
ايها الآتن الحى الذى هو مبدأ الحياة !
حين تشرق فى ناحيه المشرق
تملأ كل قطر بجلالك .
انك جميل ، عظيم ، وهاج ، عال فوق كل بلد
واشعتك ـ انها تطوق البلاد حتى ابعد ماصنعت .
انت رع وانت تتخلل الكل حتى نهايتهم*
وتربط بينهم من اجل ابنك الحبيب (الفرعون) .
ومع انك بعيد جدا فاشعتك على الارض
ومع انك كائن فى وجوه البشر الا ان خطواتك لاترى

الليل والانسان

حين تغيب فى الافق الغربى للسماء
تكسو الارض ظلمة كالموت .
انهم ينامون فى مخادعهم
وقد تغطت رؤوسهم

تجعل ظلمة فيصير ليل
فيه يدب كل حيوان الوعر .
مزمور ١٠٤ : ٢٠

---

* هنا لعب بالالفاظ فى كلمة رع التى هى نفس الكلمة المستعملة بمعنى « نهاية »

وسكنت انفاسهم
فلا يرى احدهم الآخر
بينما تسرق ممتلكاتهم
التى هى تحت رؤوسهم
وهم لايعرفون .

الليل والحيوان

كل اسد يخرج من عرينه
وكل الحيات ـ انها تلدغ
الظلام مسدل ،
والعالم فى سكون ،
لان الذى خلقهم مستريح فى افقه

الاشبال تزمجر لتخطف
ولتلتمس من الله طعامها .

مزمور ١٠٤ : ٢١

النهار والانسان

ما أبهج الارض حين تشرق فى الافق
حين تلمع كآتن فى النهار
تطرد الظلمة بعيدا ،
وحين تبعث باشعتك
يصير القطران (مصر العليا والسفلى) فى
مرح يومى .
يصحو الرجال ويقفون على ارجلهم
حين تقيمهم انت .
ويرتدون ثيابهم بعد ان يغتسلوا
ويرفعون ايديهم عبادة لاشراقك
ثم فى كل العالم يذهبون الى عملهم

تشرق الشمس فتجتمع
وفى مآويها تربض .
الانسان يخرج الى عمله
والى شغله الى المساء

مزمور ١٠٤ : ٢٢ ـ ٢٣

النهار والحيوانات والنباتات

كل الماشية تستريح فى مراعيها
وتنمو الأشجار والنباتات
وترفرف الطيور بأجنحتها بجانب مجارى المياه
وترقص الغزلان على أرجلها .
كل المخلوقات التى تطير أو تدب
تعيش حين تشرق أنت عليها .

النهار والمياه

الزوارق تقلع وتسير شمالا وجنوباً
وكل طريق مسلوك ينفتح لأنك أشرقت
السمك فى البحر يقفز أمامك
وأشعتك فى وسط البحر
الأخضر العظيم .

هذا البحر الكبير الواسع الأطراف .
هناك دبابات بلا عدد . صغار حيوان مع
كبار . هناك تجرى السفن . لوياثان
هذا خلقته ليلعب فيه .

مزمور ١٠٤ : ٢٥ — ٢٦

خلق الانسان

خالق البذرة فى المرأة ،
محيى الابن فى جسم أمه
ومنعشه حتى لا يبكى ،
مرضعه إذ هو فى البطن
واهب الانفاس لتحفظ حياة كل من خلقت !
وحين ينزل من جسم أمه يوم مولده
تفتح فمه
وتهيىء له كل ما يحتاج اليه .

خلق الحيوان

حين «يصئصئ» العصفور داخل البيضة
تهبه الأنفاس وهو داخلها لتحفظ أنفاسه
لقد حددت له الزمن الذى يقضيه فى البيضة ثم يكسرها
ويخرج من البيضة ليغرد بدوره .

. . . .

ويروح ويغدو على رجلين
حين يخرج منها .

خلق العالم

ما أعظم أعمالك
إنها مخفية عن الرجال
أيها الإله الأوحد
الذى لا نظير له .
إنك خلقت الأرض حسب قلبك . ×
حين كنت بمفردك .
حتى الرجال وقطعان الغنم والغزلان
كل من على الأرض
الذين يمشون على أرجلهم
أولئك الذين فى المرتفعات
الذين يطيرون بأجنحتهم .
بلاد الشمال : سوريا وكوش
وأرض مصر —

ما أعظم أعمالك يارب
كلها بحكمة صنعت
ملآنة الأرض من غناك
مزمور : ١٠٤ : ٢٤

× كلمة (قلب) هنا معناها (السرور) أو (الفهم)

لقد عينت لكل انسان موضعه
وهيأت له حاجياته ،
كل انسان له طعامه
وأيامه محدودة .
للألسنة لغات مختلفة
وللاجناس أشكال والوان
لانك أنت الذى أوجدت الفروق بين الغرباء .

ری الارض فی مصر وفی غیرها

انت صنعت النيل فى العالم الاسفل
وأخرجته كما تشاء
لتحفظ حياة أهل مصر *
لانك خلقتهم لنفسك ،
أنت سيدهم جميعا تتعب نفسك لاجلهم
انك سيد كل بلد وتشرق من أجلها .
أنت شمس النهار عظيم فى المجد !
كل البلاد الشمالية البعيدة
أوجدت لها الحياة .
لقد أقمت نيلا فى السماء
حين يهطل من أجلهم
يرفع الامواج كالجبال
كالبحر الاخضر العظيم
فيروى حقولهم وسط مدنهم .
ما أعدل أحكامك ياسيد الابدية !

* الكلمة المستعملة فى الهير وغليفية معناها أهل مصر فحسب

يوجد نهر في السماء للغرباء
وللغزلان التي تمرح فوق كل المرتفعات
أما النيل فهو يأتي من العالم الاسفل لمصر .

الفصول

ان اشعتك تغذى * كل حديقة
حين تشرق أنت تحيا هي
وتنمو بك .
انك ترتب الفصول
حتى تنمو كل الخلائق .
الشتاء ليأتي لهم بالرطوبة
والحرارة حتى يتذوقوك

السلطة العالمية

انك خلقت الافق البعيد لتشرق فيه
حتى تنظر الى كل ما خلقت
منذ أن كنت بمفردك
ساطعا في شكلك كأتن الحي ،
مشرقا ، بارقا ، مبتعدا ثم مقتربا .
انك خلقت ملايين الاشكال
بنفسك وحدك —
المدن والقرى والحقول والطرقات والانهار .
كل العيون تراك أمامها

* الكلمة الاصلية معناها « ترضع »

لانك انت النهار فوق الارض

وحين تختفى

وكل البشر الذين خلقت وجوههم

حتى لا ترى نفسك بمفردك

ينامون حتى ان واحدا منهم لا يرى خليقتك

فانك لا تزال فى قلبى

الوحى الملك

. . . .

ليس من يعرفك

الا ابنك اخناتون ـ

لقد جعلته حكيما

بتدبيرك وبقوتك

العناية بكل المسكونة

ان العالم يحيا بيديك

حتى مثلما خلقتهم :

حين تشرق يعيشون

وحين تغيب يموتون

لانك انت وحدك طول الحياة

وبك يحيا الناس

ان عيون الناس تبصر بهاءك

الى ان تغرب

فيترك كل عمله

حين تغيب الى المغرب

وحين تعود الى الاشراق
تقوى كل ذراع من اجل الملك
ويقترن النجاح من كل خطوة
منذ ان اسست العالم
واقمتهم من اجل ابنك
الذى ولد من لحمك
ملك مصر العليا والسفلى
الكائن فى البر ، سيد القطرين
نفر كبر رع وان رع (اخناتون)
ابن رع الكائن فى البر سيد التاجين
اخناتون ذو العمر الطويل
ومن اجل الزوجة الملكية حبيبته
سيدة القطرين نفر نفرو أتن نفرتيتى
الكائنة التى تزداد نضرة الى ابد الابدين

هذه التسبحة الملكية العظيمة هى جزء مقتبس من مجموعة من الملفات البالية مأخوذة عن الطقوس الدينية التى لأتن كما كانوا يؤدونها يوما بعد يوم فى معبد اتن بالعمارنة . ولسوء الحظ أنها لم تكتب الا فى قبر واحد حيث تناولت يد البلى ثلثها على الاقل بسبب جهل الاهالى فى هذا العصر . فلم يبق من الجزء الاخير الا نسخة كلها اخطاء كتبت منذ نيف وخمسين سنة (١٨٨٣) . اما القبور الاخرى فقد زينت جدرانها بقطع دينية وعبارات ذاعت وقتئذ تعبر عن المعتقد الجديد كما فهمه الكتبة والرسامون الذين زخرفوا تلك القبور . فيجب ان نذكر اذن ان البقايا التى وصلت الينا عن الايمان بأتن والتى هى اهم مرجع لدينا عنه كانت قد تناقلتها بطبيعة الحال ايد فاترة وعقول خاملة جائعة قليلة من الموظفين الضيق الفكر الذين لم يدركوا من هذه الحركة الفكرية الدينية الا النزر اليسير . فلقد قنعوا فى معظم الاحوال بقطع ضئيلة نقلوها احيانا من التسبحة الملكية عينها اومن جمل متناثرة ضموها والفوا منها تسبحة اخرى تناقلوها من غير تفكير ونقشوها على جدران مقابرهم كاملة او مبتورة . وهذه الجمل

المتناثرة رغم اقتضابها هامة جدا لنا اذ هى جزء من مخلفات قليلة جدا لحركة رائعة فاصلة. وقد ذكر فى اربعة مواضع من هذه التسبحة الثانية ان الملك نفسه هو الذى كتبها ايضا ـ اى انه مرسوم وهو يلقيها لآتن. وها هى :

انك تشرق بجمال ايها الآتن الحى سيد الابدية !
انت وهاج ، جميل قوى ،
وحبك عظيم قوى .
ان اشعتك تجعل الكل يبصرون
ولونك المتقد يأتى بالحياة الى قلوب الناس
حين ملأت القطرين بمحبتك .
ايها الاله الذى خلق نفسه بنفسه :
صانع كل بلد
وخالق كل ما فيها :

حتى الرجال وكل قطعان الغنم والغزلان ،
كل الاشجار التى تنمو على الارض ـ
انهم يحيون حين تشرق عليهم ،
انك الام والاب لكل ما خلقت .
اما عن عيونهم حين تشرق
فانها تبصر بواسطتك .
ان اشعتك تملأ الارض كلها نوراً ،
وكل قلب يتهلل لانه يراك
حين تشرق وانت سيدهم
حين تغيب فى ناحية الغرب من الافق
يرقدون كما يرقد الموتى ،

رؤوسهم مغطاة
وانفاسهم ساكنة
الى حين اشراقك فى الصباح
فى ناحية المشرق من الأفق.
وعندها يرفعون اذرعتهم لعبادتك
انك تجعل قلوب الناس تحيا بجمالك
لان الناس يحيون حين ترسل اشعتك
وكل بلد تبتهال:
التسبيح والموسيقى واصوات الفرح
تعلو فى قاعة مجلس البنبن *
هيكلك فى اخيتاتون مقر البر (مآت)
الذى به تسر.
هناك يقدم لك الطعام والزاد،
وابنك الطاهر يؤدى طقوسك المفرحة،
ايها الاتن الحى فى اعياده ومواكبه
كل ما خلقته يرقص امامك
وابنك المبجل يفرح وقلبه مبتهج
ايها الاتن الحى المولود فى الأفق كل يوم.
والد ابنه المكرم وان رع (اخناتون)
شبيهه بلا انقطاع

* كان البنبن حجرا على شكل هرم كذلك الذى يعلو قمة المسلة . وكان مقدسا كل التقديس وكان فى بادىء الامر محراب او «منزل» فى كل هيكل من هياكل الاله الشمس بهليوبوليس . ويظهر من ذكره هنا ان اخناتون استعاد هذه الفكرة الاولى .

ابن رع ، مرتدجاله ، نفر كيرو رع وان رع (اخناتون)
الذى هو انا ، ابنك الذى به سررت
الذى يحمل اسمك .
قوتك وسلطانك فى قلبى .
لقد خلقت الافق البعيد لتشرق فيه
حتى ترى كل ما خلقت يداك
منذ ان كنت بمفردك .
ملايين لاتحصى من الخلائق فيك لتعولهم ،
لان التأمل فى بهائك هو انفاس الحياة .
كل الازهار تحيا وكل ماينمو من التراب
يستطيع النمو لانك تشرق .
انهم جميعا ثملون امامك
القطعان تطفر على ارجلها
والطيور ترفرف باجنحتها طربا ،
وقد نشرت اجنحتها التى كانت مطوية
سامية فى العبادة لأتن الحى
ايها الخالق : ...*

وفى هذه التسابيح نرى فكرة عالمية ملهمة لم توجد قط فى كل ما سبقها فى مصر او فى اى بلد آخر . فهى فكرة واسعة المدى تضم العالم باسره .

ويؤكد الملك بان الاعتراف بسيادة الاله الشمس العليا هو اعتراف عالمى وان كل الناس يقرون بسلطانه . وقد كتب على اللوحة الكبيرة التى اقامها على الحدود بان أتن خلق «الكل» لنفسه ، كل البلاد ، اهل الجزر اليونانية يضطلعون بما عليهم ويحملون على ظهورهم الجزية ليقدموها لذاك

*لقد ضاع باقى التسبحة حتى فى النسخة الكاملة منها .

الذى أوجد حياتهم ، ذاك الذى بأشعتـه يحيا الناس ويتنفسون الهواء . » ومن الظاهر أن اخناتون كان يهيىء دينا عاما ويحاول أن يحله محل فكرة القومية الضيقة التى سادت العالم حتى ذلك العهد .

واخناتون الى جانب أدراكه لهذه السلطة العالمية معتقد تمام الاعتقاد بأن الهه أبدى خالد ، ومع أنه هو نفسه يقبل بشريته وقصر أجله « مهما طال » بهـــدوء وسكون ويعطى أوامر فى أول عهده باقامة مقبرته ، إلا أنه مع ذلك يعتمد على صلة الود الصافى بينه وبين آتن ليضمن لنفسه الخلود مع الاله الشمس إلى الأبد . واحد القابه الذى كان يكتب دوما بعد اسمه « طويل الأمد » .

ولـكن قبل التكوين اهاب آتن بنفسه من وسط السكون الأزلى فصار خالق نفسه . ويصفـــه اخناتون على أحد الأحجار الـكبيرة التى أقامها على حدود العمارنة :

« حصنى الذى هو مليون ذراع ، مذكرى بالأبدية ، شاهدى على ما يختص بالأبدية ، الذى هو نفسه كون نفسـه بيديه ولم يعرفه صانع . » وتنسجم مع هذه الـكلمات الفكرة التى طالما رددت فى التسابيح وهى أن الإله خلق كل شىء حين كان وحيدا — حتى كأنما كانت كلمات « حين كنت وحيدا » قرارا فيها كلها . فهو الخالق الذى أوجد كل الأجناس وفرق بينهم باللغـة واللون ، وقواه المكونة الخالقة تعمل على الدوام ، فهو موجد الحياة وهو الذى يخرجها إلى الوجود حتى من البيضـة ولا يوجد نظير للعجب الساذج الذى يبديه الملك أمام قدرة الاله الشمس الخالقة حين يدهش أمام القوة التى توجد الحياة فى البيضة التى يدعوها بالحجر — فى داخل هذا الحجر الجامد تستجيب الحياة نداءه وتنمو بما ينفخه فيها من نسمات فيخرج إلى الوجود كائن حى .

وهذه القوة الخالقة هى المنبع الدائم للحياة وللبقاء — وواسطتهـا المباشرة هى أشعة الشمس التى تحمل النور والحرارة للناس . وهذا الادراك العجيب لنشاط الشمس كمصدر لـكل الحيـاة تتكرر باستمرار . فمؤلف أناشيد التسبيح لا يفتأ يذكر أشعة الشمس كأنها القوة الخالقـة الدائمـــة الوجود اذ يقول: «أنت فى السماء، وأشعتك على الأرض، مع أنك بعيد جدا فان أشعتك على ابنك فى الأرض ، أشعتك وسط البحر الأخضر العظيم ، أشعتك على ابنك الحبيب ذاك الذى يكحل العيون بأشعته ، أن أنفاس الحياة هى التأمل فى أشعتك ، ابنك (الملك) الذى خلق من أشعتك ، لقد كونته الملك من أشعتك نفسها ، أشعتك تحمل ملايين الافراح الملكية ، « حين ترسل أشعتك

تهلل مصر ، أشعتك تطوق الأرض التى إلى نهـاية ما صنعت يداك ، سواء أ كان فى السماء أو على الأرض «فكل العيون تراه بلا انقطاع ـ أنه يملأ كل أرض بأشعته ويجعل الناس جميعاً يحيون

واعتماد مصر على النيل اعتماد تاما واضحا جعل من المحال التغاضى عن هذا المنبع للحياة ، ولا أدل على تعقل اخناتون ودقة تمييزه من هذه الحقيقة وهى أنه خلع بلا تردد رداء الأساطير القديمـة التى كان الجميع يتشبثون بها ويجلونها مدى أجيال ـ تلك الأساطير التى جعلت الناس يعبدون النيل باسم أوزوريس . فهو يتحدى هذه الاسطورة أيضا ويعزو فيضان النيل إلى قوى طبيعيه يتحكم فيها إله الذى لاهتمامه بأمر البلاد الأخرى كاهتمامه بمصر قد أوجد لهم نيلا فى السماء . فاخناتون يتغاضى عن أوزوريس اطلاقا ـ ولا يريد اسم هذا الاله القديم بالمرة فى كل ما كتبه اخناتون وكل ما خلفته مقابر تل العمارنة .

وهنا يتجه فكر اخناتون إلى ما هو أبعد من الادراك لعمل الشمس على الأرض فى عالم الماديات فيستطيع أن يتميز العناية الابوية التى يبديها أتن لكل خلائقه . وهذا التمييز هو الذى يرفع حركة اخناتون ويسمو بها فوق كل ما كان قد توصل اليه الفكر البشرى عن الدين سواء فى مصر أم فى غيرها من بلاد الشرق القديمة . فلقد كان الاله الشمس فى نظر أبيوور راعيا مترفقا ، وكان الناس قطعانه تبعا لتعاليم والد مريكرى الملكى إذ يصفه بأنه صنع لهم الهواء والماء والطعام، ولكن اخناتون يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول مخاطبا الاله الشمس «أنت الأب والأم لكل ما خلقت» وهذا الجزء من تعاليم اخناتون فيه الشيء الكثير مما جاء بعدها من التعاليم . فلقد كان العالم الذى تعيش فيه هـذه النفس الحساسة لذلك الحالم المصرى القديم عالما كله شعور عميق بحضرة أتن وادراك لشفقته الابوية، وصورة الاراضى المنخفضة الزراعية المكسوة بالزنابق حيث الازهار «ثملة» بنشوة الطرب لربها أتن، حيث العصافير تفرد اجنحتها وترفعها عبادة لاتن الحى ، وحيث القطعان ترقص طربا تحت اشعة الشمس ، والسمك فى النهر الجارى يطفر ليحى النور النور ـ الذى يشمل العالم كله، الذى تتخلل اشعته كل مكان حتى انها « وسط البحر الاخضر العظيم » ، هذه الصورة بكل ما فيها تفصح عن ادراك حق بأن الله مالىء الكل موجود فى الطبيعة وفيها نرى ان كل هذه الخلائق تحس احساسا قدسيا خاشعا بحضرة الاله فى وسطها فهى صورة رائعة نستشف منها تقديرا لاستعلان الله فى الطبيعة لا نجد مثله الا بعد

ذلك العصر بسبعة أو ثمانية قرون فى المزامير العبرية ، وفى ايامنا هذه نتلمس نفس الروح فيما كتبه وردسورث من شعر

ومن الواضح انه على الرغم من الاسباب السياسية لهذه الحركة فان اعمق ما فى هذ التطور العجيب من قوة واثر مرجعه الى هـذا التعلق بالطبيعة وهذا النصح بان « تتأمل زنابق الحقل » وان اخناتون كان رجلا « ثملا » بالله استجاب ذهنه بحساسية عجيبة وادراك صحيح لـكل ما يحيط به من شواهد عن الله . فقد امتـلأ نشوة لما أحس به من جمال النور الابدى العالمى . واشعة هذا النور تطوقه على كل ما خلفه من آثار — تطوقه هو ومليكته واولاده لانه يعلن ان صلته بالهه صلة خاصة فريدة . فيصلى « لتطرب عيناى برؤيته يوميا ، حين يشرق فى هذا البيت ويملأ بنفسه باشعته ، جميل فى المحبة ، يضع اشعته على مشبعا اياى بالحياة الى الابد » وبهذا النور الذى هو الجمال تارة وطورا الحب والذى هو فى كلتا الحالتين الصورة المرئية لحضرة الله — يطرب ثملا بنشوة قلما توجد والتى يمكن تشبيهها بتلك النشوة التى تحس بها بعض النفوس المختارة مثل رسكن حين يتأمل النور . وحين يرى رسكن النور يتـلاعب فوق منظر طبيعى يصفه بانه « المتنفس ، الحيوى ، النور الطرب ، الذى يحس ويفرح ويعمل ويستسلم ، الذى يختار شيئا ويرفض آخر ، الذى يطلب ويجد ثم يفقد ، متنقلا من صخرة الى صخرة ، ومن ورقة الى ورقة ، ومن موجة الى موجة ، متقدا ، بارقا ، متلألئا تبعا لما يسطع عليه ، او مطوقا كل الخلائق براحة عميقة مليئة فى اوقاته القدسية ، ثم تضيع اشعته فى الظل والشك ويتلاشى رويدا رويدا يجرفه الضباب — ولـكنه فى اتقاده وتلاشيه وفى بهائه اوسكونه النور الحى الذى يتنفس فى اعمق راحته وغيبوبته والذى ينـام ولـكنه لا يموت ابدا » هنا نشوة لنفس عاشت منذ عهد قريب هى رسالة حقة لجمـال النور الذى كان اول من بشر به حالم سامى الاحلام وحيد عاش فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد . فقد كان النور لاخناتون أيضا ينام حين ذاك الذى خلق العالم « يذهب ليستريح فى أفقه » ولـكنه كان « ينام ولا يموت أبداً » كما قال رسكن . ويوجد جزء ممزق من التسبحة الـكبرى ترجمها سيت خير ترجمة يعبر فيها أخناتون عن احساسه بالهه على الرغم من أن الظلام قد انسدل وأن الناس نيام فيقول « انت فى قلبى بعد . »

اذن ففى هذه الناحية تكون حركة اخناتون هى انجيل حق عن الجمال والخير الذى فى الطبيعة ،

ادراك لرسالة هذه الطبيعة الى النفس البشرية . فالفنانون صاروا يرسمون الحياة الطبيعية بروح جديدة تختلف كل الاختلاف عن الروح البادية فى الصور الوادعة التى رسمها فنانو المصطبة فى عصر الأهرام الذين لاتزال صورهم الهادئة موجودة الى اليوم فى قبور الاشراف فى سقارة . أما الصور المنحوتة التى تزين القاعة فى قصر أخناتون ذات الاعمدة فى العمارنة فانه يتجسم فيها السرور بالحياة . واننا نحس اذ نراها بالانفعالات التى جاشت بها نفس الفنان فدفعت بيده الى الرسم وهو يتخيل الثور المتوحش يقفز فوق شجيرات البردى المتكاثفة ويحرك رأسه بقوة فتنذعر الطيور الجاثمة على البحيرة وتطير صائحة وفى صياحها معنى التأنيب لذلك الغريب الدخيل وسطهم والذى بأرجله الهائلة يعرض أعشاشها للخطر . وللأسف الشديد أن هذه الصور المليئة بالحركة وبالحياة والتى طرب لها كل من رآها منذ أن صنعت قد عبثت بها يد الجهل فى عصرنا الحاضر فمحت معالمها وجعلتها أثرا بعد عين!

هذه الروح الجديدة التى استلهم منها الفنانون معانى الجمال والخير فى الطبيعة كانت فى الوقت عينه تحس احساسا عميقا بحياة البشرية وبالعلاقات الانسانية كما هى لا تعوقها التقاليد ولا يجعل منها العرف صورا جامدة . فصار أخناتون وأهل بيته يصورون بلا قيد ولا تحفظ فتبرز فى صورهم معانى المحبة والود التى يكنها كل للآخر بصورة رائعة . وقد وجد تمثال صغير ناقص بعد فى ستوديو أحد الفنانين بالعمارنة يظهر فيه الملك وقد جلست ابنته على ركبته . وليس ذلك فحسب بل اننا لنراه فيها وهو يقبل ابنته فعلا كما يفعل أى والد آخر . ومن السهل أن نتخيل ما اثارته مثل هذه الصورة الجذابة من الحنق والغضب فى نفوس الرجعيين المحافظين على التقاليد — أولئك الاشراف الذى كان من رأيهم أن الفرعون لا يجوز أن يصور الا كما صور مدى ألفين من السنين : أى فى شكل شخص وقور الطلعة جالسا بجلال وهيبة مرتفعا فوق مستوى البشر ، بحيث يكون تمثاله تمثالا للسكون الالهى لا تبدو عليه أية ظاهرة من مظاهر الاحساس أو الضعف البشرى . أما الكرسى البديع الذى وجد فى قبر توتنخ أمون وكان فى الاصل يزين احدى قاعات القصر الذى بناه اخناتون فى تل العمارنة فانه مزدان بمنظر نرى فيه الملك الشاب جالسا فى تراخ وقد ألقى باحدى ذراعيه فى دلال على مسند الكرسى بينما تقف أمامه الملكة الشابة الجميلة وفى يدها آنية تحوى طيبا تعطر به ثوب زوجها فى رشاقة فائقة . ولاول مرة فى تاريخ الفن نرى منظراً يصور لنا علاقة بشرية — فالفن هنا ترجمان

المشاعر النفسية . وهـــذان المثلان قليل من كثير من المخلفات التى تركها لنا اخناتون والتى تربنا شخصيته القوية وجرأته فى أن يرمى وراء ظهره بغير تردد قيود التقاليد فى محاولته أن يثبت الحقائق على علاتها .

ومن المهم ان نلاحظ ان اخناتون كان اذن رسول الطبيعة والحياة البشرية . فقد شابه هذا النبى المصرى الثائر السيد المسيح فى انه اتخذ من حياة الطيور والازهار والانسان اساسا لتعاليمه ـ فهو كان عميق التأمل فى الطبيعة وحياة الانسان . ومع ان الفن الذى ابرزته هذه الثورة كان فنا جديدا فقد كان فى الاختيار الفردى خلال العصور السابقة الشىء الكثير مما لم يكن اخناتون ليتغاضى عنه . فهو قد قبل برضى تام التعاليم الشمسية عن النظام الادبى العظيم . وان كان الحديث قد طال عن الحركة الثورية فى سبيل التوحيد فا ذلك لان هذه الحركة كانت هى الذروة التى انتهى اليها الادراك البشرى فى العالم القديم كنتيجة لتأملات المفكرين منذ عصر الاهرام ـ اولئك الذين عبروا عن اداركهم لمعظم هذا النظام الادبى بكلمة واحدة هى كلمة « ماعت » . ولقد قامت هذه الحركة على ثلاث دعائم : الاولى سياسية تعنى ان اسم الاله الشمس كان يكتب داخل خرطوشين كفرعون ، والثانية دقة الملاحظة لسلطة الاله الشمس العامة كقوة محسوسة موجودة فى كل مكان فى أشعة الشمس وما فيها من حرارة ونور ، والثالثة النمو المنطقى المعقول للتعاليم الشمسية القديمة فى هليوبوليس عن النظام الادبى ـ ـ نظام كان قد انقضى عليه ألفان من السنين يوم ان تولى اخناتون الحكم .

وهذه الدعامة الثالثة هى التى علينا ان نفكر فيها . هنا نشعر بضآلة المخلفات التى وصلتنا . ومع ذلك فهذه المخلفات القليلة تربنا كيف نما التفكير فى ذهن الملك الشاب خلال سنى حكمه . وليس من شك فى ان حركة كتلك التى بدأها اخناتون من التقدم والتفكير قد كتب عنها الشىء الكثير اذ لا يمكن ان يمر المفكرون عليها من غير بحث وتعليق ـ والادلة متوافرة على وجود مثل هذه الكتابات فى قبور العمارنة حيث نجد ما كان يتغنى به الاشراف عن صلتهم بمليكهم نراهم يشيرون مراراً وتكراراً الى العقيدة الجديدة . وليس عندهم للتعبير عنها الا كلمة « تعاليم » وهم يشيرون الى ان الملك وحده هو رسولها ـ وليس من شك فى ان « التعـاليم » هى اسم عام لرسالة رسمية اعلن فيها الملك دينه الجديد . وبعد سقوطه لم يدخر اعداؤه وسعا فى محو اسمه وفى ابادة كل آثـــاره . ولاريب فى ان

رسالته هذه قد ضاعت ضمن ما أهلك من مخلفاته . ومعرفتنا بحركته مستقاة من وريقات وشذرات مبعثرة تركت بالصدفة ، ومن المقابر التى نقشت عليها تسابيح اخناتون اتربيها .

وحين نقرأ التسبحة الكبرى لاول مرة ندهش اذ لا نجد فيها أية اشارة الى الشخصية والى السلوك الادبي مع انها رسالة دينية سامية ومع ان مثل هذا السلوك كان له المكان الاول فى التعليم الشمسى القديم والذى كان الاساس الذى بنيت عليه عقيدة آتن . ويرجع هذا الاهمال الى ان القوى التى حركت نفس اخناتون كانت قائمة على الانفعالات النفسية . فان الثورة فى سبيل آتن كان قوامها العواطف والوجدان . ونحن نلمس هذه الروح فى التسابيح ونراها بوضوح فى الفن . وحين يرسم فنان من العمارنة صورة اخناتون او احد اتباعه باذرع « مرفوعة عبادة وخشوعا » للاله الشمس نلمس العاطفة فى خطوط الذراع المرفوعة نحس بها كثيرا عواطفنا وتحركنا . فالجمال والخير اللذان للاله الشمس هما ما يعبده اخناتون ـــ وما يشعر به من انفعال نحو هذا الجمال . وهو ما يتغنى به فى التسابيح وما يبرز فى الفن ـ وهما لذلك لا يتضمنان اللاهوت ولا التأملات الادبية . ومع ذلك فان أخناتون قبل برضى تام التعاليم الادبية التى تضمنتها العبادة الشمسية القديمة والتى لم تسطع فى اى عصر آخر بقدر ماسطعت فى عصره

والصلة القريبة بين ثورة اخناتون وبين التعليم الهليوبوليسية القديمة واضحة من البداية حتى النهاية . وقد كان من أثر هذه التعاليم ان صار الفرعون ابنا لرع فاتخذ رع بذلك صفات العدل والرفق فى الحكم عن ابنائه الذين اخذوا الحكم عنه . فكان الفرعون « الراعى الصالح » وهذا التشبيه للعناية الابوية التى للحاكم الارضى اكتسبها رع ـــ وهكذا نما رع فى الرفق والحنان وكان ذلك اثرا للنمو الذى طرأ على ادراك المصريين لمعنى الملكية فى عصر الاقطاع . فكانت الدوافع الاجتماعية التى ادت الى هذا الادراك الاسمى للملكية هى عينها الدوافع التى اثرت فى النهاية على ادراكهم لحكم رع فجعلته حكما عادلا مترفقا بدلا من ان يكون حكما آليا بعيدا . فصار رع بذلك قريبا جدا من الوجدان البشرى كاوزوريس نفسه . وكانت تعاليم اخناتون متفقة تماما وهذا الاعتقاد الشمسى القريب من الوجدان . وقد كتبت تسبحة ايام حكم ابيه تشير الى الاله الشمس بانه « الراعى المقدام الذى يرعى قطيعه » وهذه اشارة تظهر بوضوح الصلة القائمة بين عبادة

آتن وبين الحركة الاجتماعية الادبية التى تمت فى عصر الاقطاع

وحين نذكر ان هليوبوليس مصدر « مآت » « العدل » والحق » « والبر » التى تتمثل للاذهان فى شخص الهة ـ ابنة الاله الشمس ـ فمن المهم ان نلاحظ انه يوجد فى كتاب الموتى مجموعة من الآلهة يجلسون فى « قاعة مآت » الذين لايوجد فى اجسامهم كذب ولاخداع » الذين يعيشون على الحق ـ (مآت) » . والى هؤلاء الآلهة يؤكد الميت : « انى اعيش على الحق واتغذى بالحق (او البر) الذى فى قلبى . » وهذه التعاليم الشمسية التى نودى بها فى هليوبوليس قبلها اخناتون ورضى بها الى درجة انه كان يكتب الى جانب اسمه فى كل مناسبة رسمية وعلى آثاره هذه الكلمات :

« العائش فى البر (مآت) » . وهذه الصفة الثمينة باضافتها الى اسم اخناتون كان معناها انه ينصر النظام الادبى القومى العظيم الذى نادى به كهنة هليوبوليس منذ عصر الاهرام والذى اكتسب قوة وعمقا بناءلات مفكرى العصر الاقطاعى واحلامهم . فاذ عرفنا هذا واذ عرفنا ان اخناتون كان يهدى بحكم الهى عالمى وصلنا الى نتيجة هى انه باضافة هذه الكلمات الى اسمه الملكى انما كان يرمى الى تعميم هذا النظام الادبى القومى وجعله نظاما عالميا عاما يشمل المسكونة كلها . لقد كانت حدود مملكة الاله الشمس فى العالم الادبى هى نفس حدودها فى العالم المادى . وهكذا اتسعت هذه الحدود بصورة لانظير لها فيما نادى به اخناتون.

وتمشيا مع هذه الروح دعا اخناتون عاصمته الجديده فى العمارنة « مقر البر» (مآت) ، فى تسبحته القصيرة . وكان رجال بلاطه على علم تام باعتقاده بمآت فكانوا يعظمون (الحق) . ويقول آى أحد اتباعه الذى خلفه على العرش بعد توتنخ آمون : » انه (الملك) وضع البر فى جسمى وكان الكذب ما امقت . انى اعرف ان وان رع (اخناتون) يفرح بالبر . » ويؤكد هذا الرجل عينه ان الاله الشمس هو ذاك : « الذى يفرح قلبه بالبر ويمقت الكذب . » ويقول شريف آخر فى قبره : » سأتحدث الى جلالته لانى اعرف انه يعيش بالبر ... انى لااعمل مايكرهه الملك لانى امقت الكذب ... انت رع والد البر ... لم آخذ ثمرة الكذب ولم أطرد البر خوفا من العنف » وأهم دليل

على تعبد اخناتون للبر هو أنه لم يقصد الحق على السلوك فحسب بل أدخله على الفن أيضا فكانت لذلك نتائج حاسمة .

ففي ثورة اخناتون اذن ظل رع ناصر البر وخالقه والمهيمن الاعلى على النظام الادبى القومى كما كان مدى الفين من السنين من قبل ، وان لم تسمع كلمة عن المحاكمة فيما بعد الموت فى مخلفات العمارنة فما ذلك الا لأنه ترك صحابة الالهة وانصاف الالهة وأوزوريس على رأسهم الذين كانوا مختصين بالمحاكمة كما ورد فى كتاب الموتى . فهؤلاء جميعا نفوا وأهملوا وأهملت معهم فكرة المحاكمة كما اعتقد بها الأولون مع أنه من الواضح أن تعاليم اخناتون أكدت المطالب الأدبية التى كانت من مستلزمات التبرير فى المحاكمة من قبل . كذلك أبعد اخناتون كل تدخل كهنوتى فى عالم المعنويات فاستغنى بذلك عن السحر ووسائله للتبرير فلم يعد الجعل المقدس يحمل الطلسم ليسكت به صوت القلب المشتكى وانما صار يحمل صلوة بسيطة باسم آتن طلبا للحياة ولرضى الاله وللغذاء . كذلك لم يوجد أثر فى مقابر العمارنة للتماثيل الصغيرة «اوشابتى» التى كان عليها أن تقوم بالعمل المطلوب من الميت بدلا عنه .

وقليل من التأمل يظهر لنا أن مثل هذه التغييرات الجوهرية انما اكتسحت أمامها تيارا هائلا من التفكير الموروث ومن التقاليد والعادات . جرفتها كلها تعاليم الملك الشاب الثورية . ولا بد لنا من أن ندرك مدى هذا العمل وعظمته لنستسيغ قوة اخناتون ونتفهم شخصيته العجيبة . فقد كانت الرسائل الدينية قبل حكمه تعزى إلى ملوك أو حكماء أقدمين وكانت سلطة العقيدة ترتكز على قدمها وعلى أن أجيالا عديدة سارت عليها ورضيت بها . وكان تاريخ العالم إلى أن حكم اخناتون مجرد تحول التقاليد تحولا غير منتظم وغير مقصود . ولم يشذ عن هذه القاعدة قبل ذلك الا تلك الشخصية العظيمة لذلك الطبيب المهندس امهوتب الذى كان أول من بنى من الطوب بناء شامخا فى القرن الثلاثين قبل الميلاد . أما فيما عدا ذلك فقد كان الرجال مجرد نقط صغيرة فى بحر خضم هائل — لهذا كان اخناتون أول شخصية فى التاريخ وربما سبقه أمهوتب فحسب . فقد توصل إلى مركزه بأعمال الفكر وعن قصد وتأمل ثم وقف بنفسه وجها لوجه أمام التقاليد الموروثة واكتسحها . فهو لا يستعين بالأساطير ولا يستند إلى سلطة الاله تبعا لما عرفها الأولون ولا يرضى

بالعادات التى لامبرر لها سوى تعاقب الاجيال — انما هو يستثير العاطفة بالحاضر والشواهد المرئية التى تثبت سلطة الهه — وهى شواهد فى متناول الجميع. أما التقاليد القائمة التى تؤيد سلطة آلهة أخرى وتشهد لها فقد جاهد لكى يقضى عليها. ومثل هذه السياسة التى ترمى إلى محو كل ما درج عليه الناس وسلموا به كان لابدلها من أن تصطدم بمعارضة عنيفة. وسندرس فيمايلى قوى المعارضة لتلك العقيدة الجديدة.

ايرِس حبيب المصرى



تقويم الجمهورية الفرنسية

واثره فى مصر وسوريا

للاستاذ توفيق اسكاروس

واقتنى الموضوع الذى دبجته براعة الصديق الاستاذ حبيب غزاله بك وعنوانه « نابليون فى مصر » مشيرا مما جاء فيه الى تقويم الجمهورية الفرنسية. ولما كان استعماله فى فرنسا خاصة وطبعا فى كل قطر وطئته اقدام جنوده والعلم المثلث الالوان فى عهد ذلك العاهل الكبير نابليون بونابرت خطر لى ان اتقدم بما يشير الى هذا الموضوع وهو التقويم الجديد عند الفرنسويين وخصوصا لمشابهته للسنة المصرية أذ لم يكن الفارق بين التاريخين فى شهر سبتمبر الموافق رأس السنة المصرية غير ١١ يوما لان أول توت أو النيروز يوافق ١١ سبتمبر بينما كان رأس سنة التقويم الجديد عندهم يوافق ٢٢ كما سنرى فيما بعد

وعلى كل حال فانه لم يدم استعمال هذا التقويم طويلا لانه ليس مبنيا على وقوع حادثة مهمة عامة فى تاريخ العالم كالتاريخ العبرى او الميلادى المسيحى (يوليانى او جريجورى) او الهجرى النبوى ، او التاريخ القبطى من سنى الشهداء (الذى يقع فى سنة ٢٨٤ للميلاد من سنة ولاية ديقلاديانوس) بل كان مبنيا على وقوع ظاهرة فرنسية محضة ، فلا بدع ان الغى تقويم الجمهورية الفرنسوية هذا بعد ان ظل معمولا به مدة اربع عشرة سنة اذ قال المؤرخون انه بقى حتى منتصف شهر يونيو سنة ١٨٠٦ فكان احتلالهم لمصر قصير المدى فوافق السنة السابعة والثامنة حتى التاسعة من يوليو ١٧٩٨ - سبتمبر سنة ١٨٠١ ولم يبق لهذا التقويم الخاص الا ذكراه . أجل كان من مميزات قيام الجمهورية الفرنسية خلق سنة جديدة تشير الى حادث عظيم فى تاريخ فرنسا فقط وسموه بتقويم الجمهورية اشهارا لقيامها

هذا هو حادث الانقلاب الخاص فى التاريخ العام بالنسبة لها دون غيرها من الامم فكان شاذا حقا ، وصاروا يؤرخون بها منذ سنة ١٧٩٢ وكانت هذه هى السنة الاولى للجمهورية فبعد استيلاء

الاحزاب المتطرفة على أزمة الحكم رأت حكومة الدير كتوار وجوب هدم الهيئة القديمة بكل ما فيها كرها للقديم الممجوج عندهم وبعد قتل مليكهم لويس السادس عشر ومما غيروه التاريخ المسيحي الغريغوري العام واستبدالها بآخر جديد عندهم فكان منه سنة الجمهورية الفرنسوية وأرخوا بهذا التقويم الجديد جميع الحوادث وليتهم وضعوا بجانبه التاريخ المهجور للمقارنة ولكن هكذا قدر فكان

بدأوا سنتهم من ٢٢ سبتمبر ودعوا الشهور المخترعة بأسماء توافق حالة الفصول من برد وحر وهواء ومطر وثلج الخ وقسموها الى اثنى عشر شهراً متساوية وكل شهر عدد أيامه ثلاثون، وأضافوا لها خمسة أيام أو ستة سموها بالانقلابية وهو كالبسيطة والكبيسة كل ٣ سنوات وفى الرابعة تكون السنة ستة أيام كل ذلك لكى يحافظوا على حساب السنة الشمسية ولضبط الحساب

اذن ألم يكن ذلك هو شبيه أو قرين الحساب المصرى بعينه؟ فان السنة المصرية تبدأ كما لا يخفى بالنيروز أول شهر توت الموافق اليوم ١١ سبتمبر وتنتهى فى آخر مسرى تتلوها أيام النسىء فى خمسة أو ستة أيام وقد يسمى الشهر الصغير (بيكوجى إبافوت)

وقد يكون من المهم ايراد عبارات تاريخية كتبها المعاصرون فيما كتبوا وتناقلها من بعدهم من المؤرخين المسجلين للحوادث كالجبرتى مثلا وهو الاشهر فى مصر الذى أرخها يوما فيوما. وقد أشار الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الى ذلك فى خطله بالوصف فى صفحتى ١٧ و١٨ من الجزء الثالث من التاريخ المسمى عجائب الآثار فى التراجم والاخبار قال. «ووقع أول سنتهم بمصر فى يوم السبت ١١ ربيع الثانى سنة ١٢١٣ وفيه انتقال الشمس لبرج الميزان وهو الاعتدال الخريفى فشرع الفرنساوية فى عمل عيدهم ببركة الازبكية. وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهورية ببلادهم فجعلوا ذلك اليوم عيدا وتاريخاً».

وقال عن آخر سنة للفرنسيس بمصر. وفى خامس جمادى الاول سنة ١٢١٥ كان عيد الصليب وهو انتقال الشمس لبرج الميزان والاعتدال الخريفى وهو اول سنة الفرس وهى السنه التاسعة من تاريخ قيامهم ويسمى عندهم هذا الشهر وندمير وذلك يوم عيدهم السنوى »

وهذه أسماء الشهور باللاتنية مع تعريبها نقلا عن كتاب سيرة نابليون الاول للكولونل كالليجاس المطبوع بباريس سنة ١٨٥٦

١ وندمير Vendemaire قطف العنب يوافق اليوم ٢٢ سبتمبر الى ٢١ اكتوبر

٢ برومير Brumaire اشهر الضباب من ٢٢ اكتوبر الى ٢٠ نوفمبر

٣ فريمر Frimaire شهر البرد من ٢١ نوفمبر الى ٢٠ دسمبر

٤ نيفوز Nivose شهر المطر من ٢١ دسمبر الى ١٩ يناير

٥ بلوفيوز Pluviose شهر الثلج من ٢٠ يناير الى ١٩ فبراير

٦ فنتوز Ventose شهر الريح من ٢٠ فبراير الى ٢٠ أو ٢١ مارس

٧ جرمنيال Germinal شهر التنبيت من ٢١ أو ٢٢ مارس الى ٢٠ ابريل

٨ فلوريال Florial شهر النوار من ٢١ ابريل الى ٢٠ مايو

٩ بريريال Prairial شهر المروج من ٢١ مايو الى ١٩ يونيو

١٠ مسيدور Messidor شهر الحصاد من ٢٠ يونيو الى ١٩ يوليو

١١ ترميدو Thermidor شهر الحر من ٢٠ يوليو الى ١٨ اغسطس

١٢ فروكتيدو Fructidor شهر الغلة من ١٩ اغسطس الى ١٧ سبتمبر

ويعقبها الخمسة الايام او الستة المكملة من ١٨ سبتمبر الى ٢٢ منه او ٢٣ حسبما تكون السنة بسيطة او كبيسة كما يكمل الآن شهر فبراير اذ يكون كل ثلاث سنوات ٢٨ وفى الرابعة ٢٩

وزيادة على هذا التغيير فانهم لم يقروا تقسيم ايام الشهر الى اسابيع بل الى ثلاثة اثلاث الشهر اى ان يكون الثلث ، عشرة ايام سموه عشرية Décade (ومنه اسم الجريدة العشريه المصرية Le Décade Egyptienne احدى المجلتين التى كانوا يطبعونها فى مصر مدة وجودهم. والاخرى الكوربيه ديجيت، الاولى فى السياسة والثانيه فى الادب والاقتصاد)

وكانت كل عشرية مؤلفة من عشرة أيام أولها برميدى Primédi (الاحد) واليوم الثانى دودى Duodi (الاثنين) والثالث تريدى Tridi (الثلاثاء) والرابع كوارتيدى Quartidi (الاربعاء) والخامس كوانتيدى Qnintidi (الخميس) والسادس سكستيدى Secstidi (السديس) والسابع سبتيدى Septidi (السبيع) والثامن اوكتيدى Octidi (الثمين) والتاسع نونيدى Nonidi (التسيع) والعاشر ديكادى Décadi (العشير)

وظاهر انها كلها اسماء لاتينية وضعوها . وكان هذا اليوم الاخير أو العشير هو يوم العطلة

يستريحون فيه من اتعابهم بمنزلة يوم الاحد عند الغربيين الآن وبه تنتهى ايام الاسبوع المعتاد ثم قسموا كل عشرية الى قسمين كل قسم منهما يسمي خمسة وجرما على أمور واقتراحات ورغبات جديدة

* * *

ويجمل ايضاً الاشارة الى انه كان تقسيم مديريات القطر المصرى كالآتى نقلا عن ملحق مجلة الكوريه ديجيت (احدى المجلتين المشار اليها) اى بلاغ مصر او رائد مصر التى كانت تصدر مرة كل خمسة أيام سياسية فى موضوعها وهذا الملحق نشر فى

بأمر صارى عسكر كليبر فى ٢٨ فروكيدور السنة السابعة للجمهورية تقسم مصر الى ثمانى مقاطعات او مديريات وكل منها يشمل الاقاليم الآتية

الاولى : أقاليم طيبا وقنا وجرجا واسيوط ، وبندرها أسيوط

الثانية : أقاليم المنيا وبنى سويف والفيوم وبندرها بنى سويف

الثالثة : أقاليم القاهرة شاملة الجيزة واقاليم القليوبية والاطفحية والبندر القاهرة

الرابعة : أقاليم الشرقية وبلبيس والعريش والسويس والبندر بلبيس

الخامسة : أقاليم الاسكندرية شاملة الاسكندرية ورشيد والبحيرة والبندر الاسكندرية

السادسه : أقاليم دمياط والمنصورة واقسام الدلتا المنضمة اليها والبندر دمياط

السابعة : أقاليم الغربية والبندر سمنود

الثامنة : أقاليم منوف والبندر منوف

وأخيراً فان الثلاثه القواد الذين شهدتهم مصر كانوا بونابارت ، وكلابر ، ومنو ، فالاول بونابرت صحفوا اسمه الى « ابونا بخت » وقد بارحها خفية ليل ٢٢—٢٣ أغسطس سنة ١٧٩٩. والثانى كلابر الذى احالوا اسمه الى « قلاع بر » اغتاله سليمان الحلبي فى ١٤ يونيوسنة ١٨٠٠. والثالث منو او عبد الله منو صحفو اسمه الى « من هو » الذى رجع الى فرنسا وانتهى به الاحتلال والحمدلله على كل حال

وكان اجلهم خلقاً اوسطهم كليبر ـ وخير الامور الوسط ـ فبكاه الجميع عند مصرعه والى

والى القراء قصيدة وجدت مخطوطة فى دار الكتب الملكيه بباريس قيل انها لتقولا الترك

وقت المنية والحياة قد انقضت	وسطا الحمام على الكمى الظافر
فابكو الشجاع البطش والبطل الذى	ظفرت يداه بكل قرم فاجر
كم فى اراضى الروم ذكرى نصرة	ولكم فتكت بجحفل وعساكر
لا تنكروا فعلى بغوطة جلق	حيث العداة بمرج ابن العامر
وسبيل علام لبطشى شاهد	ينبيكم عن فعل سيفى الباطر
اذ بادروا الاتراك فى اقبالهم	يتلاطمون كموج بحر زاخر
فهناك بددت الجيوش بصارمى	وتركتهم اعجوبة للناظر
من باب مصر العريش أسقتهم	سوق الظراف أمام وجه الزاجر
كم دست هام مقاوم غادرتها	أسرى يدى وقهرت كل مشاجر
ونشرت اعلامى على رؤس الملا	طرا واخضعت الورى لاوامرى
واذ كان مافى الموت تدبير ولا	حيل ولا صد لحكم القادر
فغدا اخى الخلق منهم قاتلى	والقاتل الصعلوك أرخ غادر

سنة ١٢١٥

وفى القصيدة ورد ذكر «غوطة جلق ، وسبيل علام» وكلاهما فى بشالك دمشق حسب المصطلح عليه فى عهد المماليك والاتراك

ومن الصدف الغريبة ان يكون اغتيال كلابر فى ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ هو اليوم الذى سقط فيه الجنرال «ديزه» قتيلا فى سهول مارنجو وبكاه صديقه الجنرال يعقوب اذ كتب الى الجنرال مينو خليفة كلابر كتابا بالفرنسية يجمل بنا تعريبه:

اسمح لى وانا رفيق ديزه فى اعماله بالصعيد أن انثر عن بعد بعض الزهور على قبره لاعبر بذلك عن بعض الحزن الذى يتملكنى ويعجز لسانى عن التعبير وانى لى ان اجد كلمات تكفى لاظهار مقدار التياعى

ديزه ! ديزه ! انهم يقيمون لك اثرا فى فرنسا . فيعقوب الذى كنت تحبه ويعزك كنفسه

سيدفع نفقات ذلك الاثر بمفرده بالغة ما بلغت واذ بقى هذا الاثر ناطقا بالصدق ينقل الى الخلف اخبار الوقائع والحروب التى خضت غمارها لاسترجاع الصعيد من ايدى المماليك واخضاعه فسيعلم الخلف منه ايضا ان يعقوب القبطى حارب الى جانبك واستحق اجلالك واعزازك وقد أخلص لك ووهبك فؤاده منذ زمن مضى ا ه

حقا ان الوفاء شيمة النفوس الكبيرة فلم يكن الجنرال يعقوب مجرد صديق وفى بل كان شجاعا أيضا لانه احب شجاعا مثله من أمة لم تعوزها صفات الشجاعة والبسالة فى ساحات الوغى وا كثر من ذلك انه كان وطنيا صميما صادقا فى وطنيته راغبا ملحا فى استقلال مصر

فلا غرو ان صدرت لجنة التاريخ القبطى رسالة ممتعة فى تاريخ هذا الرجل المقدام الغيور ويعد بحق من نوابغ المصريين فى آخر القرن الثامن عشر وهو القائد الاشهر من بنى القبط الذى ظهرت مواهبه فى اثناء الحملة الفرنسية

ومن أهم ما يجب معرفته عن هذا العظيم انه اول مصرى فكر فى استقلال مصر من سلطة المماليك والاتراك ووضع مشروعا لذلك وسافر مع الفرنسيين ساعيا فى اوربا لاقناع الدول بقبوله ولكن المنية عاجلته قبل ان يبلغ وطره وصدق من قال

على المرء ان يسعى بما فيه جهده وليس عليه ان تتم المطالب

وكانت الجمعية الجغرافية نشرت وثائق جديدة كانت فى اوراق وزارة الخارجية البريطانية تحت عنوان: مصر المستقلة مشروع ١٨٠١ (١)

ويقول مسيو جورج دوان فى المقدمة ان هذه الوثائق تدل على ان فكرة الاستقلال المصرى التى نشأت فى كنف حملة بونابرت قد اشرق نورها فى نفوس المصريين فى مستهل القرن التاسع عشر، فان احدهم وهو المعلم يعقوب القبطى قد تصدى للترجمة والتعبير عما فى ضمائرهم لو لم تصبه ميتة عاجلة (اغسطس سنة ١٨٠١) حالت بينه وبين الدفاع عن قضيته امام حكومات اوربا

وتفصيل ذلك ان يعقوب فى بدايه الاحتلال التحق بخدمة الفرنسيين الذين دخلوا مصر أصدقاء

(١) هذا تعليق نشره الاستاذ محمد صبرى فى الصفحة ٣٠ من تاريخ مصر الحديث من محمد على الى اليوم طبعة اولى القاهرة سنة ١٩٣٦

يحملون راية جديدة راية الحريه . ولما وقعت القاهرة فى يدى الاتراك (٢٧ يونية ١٨٠١) غادر يعقوب المدينة مع الجيش الفرنسى الراحل الى فرنسا وقد نزل بصحبة القائد بايار فى سفينة انجليزية ولكنه مرض فى الطريق فعاجلته المنية فى ١٠ اغسطس بعد ان كاشف ربان السفينة الانجليزية بمشاريعه التى تنطوى عليها الوثائق الجديدة

يطرح يعقوب مصر على رأس وفد مصرى مؤلف من اعيان القبط وكانت فكرته الاساسية مخاطبة انجلترا أولا فى الامر لان هذه الدولة لها مصلحة أكثر من اى دولة اخرى فى نجاح مشروع استقلال مصر. ذلك ان انجلترا تملك ناصية البحار وفى وسعها ان تمنع فرنسا من اخذ مصر ولكنها اذا حاولت هى نفسها ان تغزو مصر فستعترضها فى سبيلها اول دولة عسكرية فى القارة الاوربية وهى فرنسا

ولا ريب ان استقلال مصر هو الوسيلة الوحيدة التى تقف تيار الدولتين وتكفل لانجلترا فى الوقت نفسه بفضل تجارتها البحرية الاستفادة من حاصلات اقاليم افريقيا الواسعة التى تعد مصر منفذها الطبيعى

وقد اجتهد الوفد فى تجنب كل ما من شأنه اثارة الشك عند انجلترا حتى يتم نجاح المشروع فعول على اخفاء الغرض من سياحته عن فرنسا وابقاء فكرة المفاوضات فى طى الكتمان . ولكن وفاة رئيسه العاجلة فى الطريق قضت فجأة على مشروع مفاوضة دول اوربا فى استقلال مصر » ذلك المشروع الذى كان يرى اصحابه ان مصيره حتما الى الفشل مالم تؤيده انجلترا وتعضده»

هذه كلمة جورج دوان الفرنسى وعربها المصرى محمد صبرى ولقد كان لى الشرف ان يعرب معى المرحوم ميخائيل بشارة داود مشروع استقلال مصر ونشرناه فى مجلة مصر الحديثة المصورة وفى سنة ١٩٣٢ نقلها الاستاذ شفيق غبريال فى مؤلفه باللغة العربية « الجنرال يعقوب والفارس لاسكارس »

مضى على ذلك التاريخ من ١٨٠١ الى ١٩٣٦ماية وخمس ثلاثون عاماً وكان من اسعد المناسبات ان تقدم لجنة التاريخ القبطى الحلقة الثالثة الجنرال يعقوب واستقلال مصر مصر سنة ١٩٣٥ اى قبيل المفاوضات المصريه الانكليزية لاستكمال استقلال البلاد

وقالت اللجنة فى الاعلان عن هذا الكتيب ولاشك فى ان ذلك يشجع كل مصرى على مطالعة سيرة هذا النابغة ووثائق ذلك المشروع وهى وثائق وجدت فى محفوظات وزارة الخارجية

البريطانيه ونشرتها اللجنة معربة فى هذه الرسالة النفيسة التى يرجى ان تصادف من كل مصرى ميلا الى مطالعتها وتشويقاً للغير فى اقتنائها

وكانت خاتمة الرسالة التنويه باشهر رجال الفيلق القبطى بامرة الجنرال يعقوب وهم الكولونل غبريال سيداروس ، وحنا هرقل وعبد الله منصور واعقب ذلك الكلام عن بقايا الفيلق القبطى من فرقة مطاردى الشرق وهى الفرقة التى ألفت بمرسوم اصدره بونابرت فى ١٧ فتوز من السنة العاشرة الجمهوريـــة

واخيراً فقد كان يوجد فى هذه الفرقة عند تسريحها بأمر وزارة الحربية الفرنسية فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨١٤ من الاقباط ستة جاوشية Sergents و ٣ أنباشية Caporaux و ٤ سوارى Carabain و ٥ مطاردين Chasseurs

وبذلك اسدل الستار على الجنرال يعقوب واخباره واخبار فرقته التى بقيت فى فرنسا وانقضى كذلك التقويم الجمهورى وكل شيء له بداية وله نهاية

ولا يفوتنى ان أشير الى المؤلف الذى كان اصدره مسيو جاستون حمصى حفيد المعلم يعقوب والمقيم بمارسليا عن الجنرال يعقوب والحملة الفرنسية بأمرة بونابرت فى مصر ففيه ذكريات عائلية مهمة

توفيق اسكاروس

• قام فى الشهر الماضى فى فرنكفورت بالمانيا مؤتمر لحماية الطفولة اشتركت فيه اربعون امة

• كان بروسيا عام ١٩١٣ من الصحف ٨٥٩ جريدة تطبع مليونا و ٧٢٩ الف نسخة. فى اليوم فصار بها الآن ٨٥٢١ جريدة تطبع ٣٦ مليونا و ١٩٧ الف نسخة وكان عدد اللغات التى تطبع بها جرائد روسيا ٢٥ لغة أما الآن فيها صحف تطبع بتسع وستين لغة

• انشيء بروما مدرسة للآلات الزراعيـة لتدريب الميكانيكيين الزراعيين فى قيادة الآلات

• أعلنت حكومة جامايكا أنها ستبدأ حالا بتنفيذ مشروع استثمار الاراضى ... الذى سيكلفها نصف مليون جنيه وانها تعتزم ايجاد فلاحين مستقلين تمدهم بكل ما يحتاجون إليه من الآلات والبذور والمساكن وسيجد العاطلون عناية خاصة فى هذا المشروع

الادب المصرى

للاستاذ حسن صبحى

كنت احاول ان اجد الصلة الوراثية بين الادب المصرى القديم وبين ادبنا المصرى ، لأدل بها على ضرورة توطيد أساسنا الثقافى وتوجيه جهودنا جميعا الى الاستفادة من هذا التراث الى اقصى حد مستطاع ، وعلى احدث اساليب وصل اليها قادة أدب المدنيات الحديثة

ان ادبنا العصرى ليست تدل عليه تلك القصائد المنجبية التى تصور الحياة فى مصر الحالية على نسق حياة البادية ، ولا تلك الرسائل التى يجرى اسلوبها على نمط رسائل القرن الهجرى الاول فهذه أثواب قدم عهدها واصبحت لا تصلح لاداء التفكير المصرى المتأثر بالوان غير الوان الرمال وبمطايا غير الابل وقصور غير الخيام والمضارب

لنا أدب قومى عصرى اذن ولو اننا لا نكاد نحصيه داخل دائرة الادب لاسباب عدة ، أضع على رأسها خلو دائرة التثقيف المنظم من معهد للاداب يلقن الاداب البحتة ، على ان تكون عدة للمشتغل بالادب قبل انشاء كلية الاداب فى الجامعة وكذلك عدم انتظام طرق النشر فى مصر لعدم وجود الادباء المشتغلين بالنشر كما فى الغرب ولأسباب اخرى تتبع ظروف الحياة المتقلبة فى مصر

من اجل هذا ومن اجل ما ينشر على الناس من كتابات ! كثرها لا يتفق مع روح العصر ولا اسلوبه ، يحس الناس بما يدفعهم الى التساؤل عن وجود أدب مصرى عصرى وهم معذورون اذا تساءلوا ، واذا انكروا أيضا وجوده

لكن ، وقد وقفتك على سبل تنظيم الحياة الادبية ، وارانا جادين فى السير فى تلك السبل بخطوات تزيد نسبة اتساعها عن خطانا فى طرق اخرى ، وقد يكون ذلك لاحساسنا بشدة قصورنا فى هذا المضمار ، لكن وهذه السبل ، فأين الداء الاصيل الذى يجب جعله أمامنا فى كل لحظة ونحن نتخطى هذه السبيل بمثل هذه السرعة

ليست جرثومة الادب المصرى حديثة النشأة ولاهي حديثة الاكتشاف بل هى أصيلة عريقة فى مصر عرفها أدباء المصريين القدماء منذ زمن بعيد ودلوا على وجودها ، إذ نشأت مع غارات الأجانب على مصر الوادعة ، ومن ادخال لغاتهم فى مصر بقوة السلطات الحاكمة ، وارغامهم الناس على قبولها كلغة البلاد الرسمية .

وأما معرفتهم بدائها فترجع إلى عصر البطالسة الذين جعل الكتاب المصريون فى عصرهم يحوطون اللغة المصرية بسياج متين من العقائد الدينية يربطونها بها ليوهموا الناس عامة بأن الكفر بنعمة الايمان انما يتحصر فى الميل عن لفظ لغتهم المقدسة أوخلطها . ومع كل هذه الحيطة التى سيجوا بها اللغة ومع قوة اللغة فى الأصل ومطابقتها للتعبير عن صور الحياة المصرية ، فقد أثرت اللغة الاغريقية تأثيرا كبيرا فى اللغة المصرية المتأخرة وجعل المصريون يخلطون تعابيرهم بألفاظ اغريقية ويستعيرون من الاغريقية كثيرا من الالفاظ مع وجود مرادفات لها فى المصرية . وأخيرا اختتموا ذلك الأنهزام اللغوى امام الفاتح القوى بأن كتبوا اللغة المصرية بحروف اغريقية بدل أن كانت تكتب بالحروف المقدسة (الهيروغلفية)

هذا هو الداء المصاب به الادب المصرى دائما . الفاتحون يجعلون للغتهم المقام الاول فى البلاد بأن يجعلوها لغة السلطة الحاكمة ولغة التعليم ولغة كل تخاطب رسمى ؛ والمصريون فى خضوعهم للحكم الاجنبي مضطرون لاستعمال هذه اللغة الرسمية وبالتالى لاستعارة بعض ألفاظها فى لغتهم الاصلية التى يصرون على التحدث بها أن تشبثوا . وبذلك يصبح الادب المصرى خليطا من لغة البلاد التى تصور المعانى المختلفة على حقيقتها ولغة الغزاة التى يضطرهم الاستعمال الرسمى الى ادماجها فى لغتهم . بل لقد حدث أن جرهم هذا الاستعمال الى جعلها لغة أصيلة كما هو حالنا الآن . وأظننا لسنا فى حاجة الى التدليل على ان اللغة العربية إنما ادخلت مع العرب عند غزوهم لمصر وأن العرب استعملوها كلغة رسمية وأصبحت إلى عصرنا لغة البلاد الرسمية .

العربية اذن هى لغة البلاد الرسمية ، فهى لغة الثقافة وبالتالى هى اداة الادب المصرى فى مصر ولذا كان الادباء يكتفون بمطالعتهم فى الادب العربى القديم ويرون أن فى العود إلى المصدر العربى وحده ما يكفى لتدعيم الأساس الادبى المصرى فى مصر . لكنهم ينسون للأسف انهم فى مصر ،

وانهم يكتبون الادب المصرى لا العربى ، ومن أجل هذا فأدبنا تنقصه الصبغة القومية ليكون أدبا قوميا عصريا وهذا هو الداء

اننا بحق فى حاجة شديدة الى الوقوف على اكبر مجموعة للادب المصرى وفى حاجة أشد إلى الاعتماد على جعل هذا الادب القومى قبل أن يدخله العنصر الاجنبي أساسا لادبنا العصرى إن أردنا أن نجعل لأدبنا العصرى صبغة قومية

أن صور الحياة المصرية التى توحى للفكر بما يخرجه من ثمر لم تخضع لكثير من التقلبات التى تغير من جوهرها فهى باقية توحى له بما كانت توحيه . والأجدر إذن أن نقف على ثمار وحيها منذ القدم . فنحن لا بد ملاقون جمالا وجديدا أفسدته خلطة المدنيات بهذه الحياة وصورها وهى حقيقة واقعة يحسها كل من اتصل بشيء من الادب المصرى القديم قبل أن تختلط به آداب الغزاة

ولعله يتاح لنا أن نعرض لشيء من هذا الادب المصرى القديم ، نتعرف فيه ذلك الجمال الذى أفسده الاختلاط ونقف من ايضاحه على مبلغ صلة نفوسنا به وأثره فى أفهامنا

بعض الكتاب الاقباط

وأثرهم في الأدب العربي

يبدأ تاريخ الأقباط اصطلاحا منذ أقل من الفى سنة حينما نشر مرقص ومن جاء بعده الدين المسيحى بين جميع المصريين .. ولكن الحقيقة أن الأقباط هم المصريون الذين سكنوا وادى النيل منذ اكثر من عشرة آلاف سنة ثم اعتنقوا المسيحية منذ منتصف القرن الاول للميلاد و بقوا على دينهم إلى الان . وعلى ذلك فتاريخ الاقباط الحقيق يبدأ منذ وجد البشر على ضفاف النيل . واللغة القبطية الحالية هى اللغه المصرية التى كان يتحدث بها المصريون القدماء بعد أن اختلطت فى العصور الأخيرة باللغة اليونانية . وقد ظلت هذه اللغة لغة الحكومة الرسمية ولغة البلاد حتى فى عهود اليونان والرومان وأوائل حكم العرب حتى عام ٧٠٦ م حينما جاء عبد الله اخ الوليد بن عبد الملك بن مروان من بنى اميه فأبطل استعمالها من دواوين الحكومة واستبدالها باللغة العربية . وفى سنة ٩٩٧ م أمر الحاكم بأمر الله بمنع استعمالها حتى من الطرق و المنازل . ولكنها ظلت مستعملة يتحدث بها الأقباط والمسلمون عدة قرون ويقول المقريزى ان رهبان الأديرة ظلوا لا يعرفون سواها الى القرن الخامس عشر وأن نساءوأطفالا فى الصعيد كانوا يتكلمونها فى ذلك العصر . ثم أخذت اللغة القبطية أى المصرية تختفى بالتدريج وتحل مكانها اللغة العربية العامية فى الحديث ، والفصحى فى الكتابة ،حتى قصر إستعمالها على الكنائس القبطيةوحدها..وتم طبع أكثر من عشرين كتابا ومعجما فى اجروميتها وتفسيرها لعدد من العلماء ..

وقد جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية أنه ظهر بعصر بهذه اللغة أدبيـــات ومؤلفات كما ظهر عدد كبير من المؤلفين والعلماء والأقباط ، وألفت باللغة القبطية كتب دينية نثرية وشعرية ولا سيما

في العصور المسيحية وكانت الأديرة والكنائس مقر تلك الكتب ولكن يد التبديد نالت منها ومن غيرها من الكتب العلمية . فمنها ما نهب ومنها ما أحرق وأتلف . ومنها ما ابتاعه أو احتال على أخذه أذكياء الفرنج ونقلوه الى أوربا حيث طبعوه أو حفظوه في متاحفهم ودور كتبهم ولم يبق من هذه الكتب الا النزر اليسير جدا »

* * *

وقبل أن نتحدث عن بعض الكتاب الأقباط في عصرنا هـذا وما كان لأقلامهم من أثر في الأدب المصرى واللغة العربية نذكر فذلكة مجملة عن بعض أدبائهم الذين ظهروا في العصور السالفة وقد جاء ذكرهم ببعض الاسهاب في كتاب تاريخ الامة القبطية السالف الذكر وفي مراجع اخرى عديدة :

ففي القرون الأولى للميلاد كان للدين الجديد الذي اعتنقه المصريون أعني الدين المسيحي ، وما حام حوله من اضطهادات دموية في حكم بعض الحكام الرومانيين خاصة أثر في التأليف المصرى وصبغه بالصبغة الدينية فكان أكثر علماء الادب والعلم في ذلك العهد من رؤساء الكنيسة وأساتذة المدرسة اللاهوتية نذكر منهم مثلا ديمتريوس البستاني الذي كان فلاحا قبطيا اميا ثم أكب على تحصيل العلوم وأصبح عالما كبيرا واسقفا نسمى بديمتريوس الاول ثم مات عام ٢٣١ م وفي عهده وضع التقويم المشهور بالابقطى الذى ينسب الى بطليموس الفلكى .

ومثل الفيلسوف بنتينوس الذى ولد بالاسكندرية وقد هذب اللغة القبطية ونقلها من الخط الهيروغليفي الى شكلها الحاضر لسهولة الكتابة بها وترجم اليها الكتاب المقدس وألف عددا من الكتب ضاعت كلها . والعالم اكليمندس الاسكندرى الذى ولد عام ١٦٠ وترك عددا من المؤلفات الفلسفية والدينية والاخلاقية لم يبق منها غير ثلاثة . والفيلسوف ديونسيوس الذى مات عام ٢٦٤ وترك عددا من الرسائل والمؤلفات .

ومن أشهر مؤلفي القرن الثالث الفيلسوف اوريجانوس المصرى الذي ذاع صيته في مصر وروما والشرق . وظهر في القرن الرابع بطرس الاول .. ثم ديديموس الضرير الذى ولد بالاسكندرية ومات عام ٣٥٩ وكان عالما لم يبق من مؤلفاته غير كتابين .. ثم ظهر في القرن الخامس كيرلس الاول ومكاريوس المصرى وقد ترك رسائل ومؤلفات دينية عديدة

وفتح العرب مصر فى سنة ٦٣٩ م وكان المقوقس أكبر مساعد لهم على هذا الفتح كما هو معلوم .
ومنذ ذلك التاريخ أخذ الاقباط فى الانقراض وأخذت اللغة القبطية فى الاضمحلال تدريجيا ومع ذلك فقد ظهر فى حكم العرب عدد من المؤلفين والعلماء الاقباط فاشتهر فى القرن السابع البابا بنيامين الحكيم الذى كان عمرو بن العاص يأنس اليه ويستهدى برأيه فى شئون البلاد لما عرف به من الحكمة وحسن التبصر . ويوحنا النقيوسى الذى كان اسقفا بالمنوفية ووضع كتابا فى تاريخ مصر باللغة القبطية شاملا لألوف الحوادث التى وقعت أيام الفتح العربى وقد ترجم الى اليونانية والعربية والحبشية ثم الى الفرنسية فيما بعد .

ومن الكتاب الذين اشتهروا فى القرن العاشر عالم قبطى اسمه ساويرس بن المقفع قضى حياته فى التأليف والترجمة وترك أكثر من عشرين مؤلفا فى التاريخ والدين نقل معظمها إلى متاحف أوربا وترجم منها كتاب تاريخ البطاركة إلى كثير من اللغات الاوربية .

وفى القرن الثالث عشر نبغ ثلاثة اخوة من العلماء الأقباط عرفوا بأبناء العسال هم الشيخ الرئيس مؤتمن الدولة أبو أسحق والشيخ أبو الفرج هبة الله والشيخ الصفى أبو الفضائل وكانوا على المام كبير باللغة العربية وآدابها كما كانوا متضلعين فى عدة لغات وعدد من العلوم والفنون وتركوا كثيرا من المؤلفات العربية العلمية والتاريخية والدينية بقى منها نحو عشرين كتابا بمتاحف أوربا .

ومن المؤلفين الذين وضعوا كتبا فى الدين والاخلاق بطرس أبو شاكر وأبو البركات وبطرس السدمنتى ثم أبو اسحق ابراهيم حفيد الشيخ صفى الدولة كاتب الامين علم الدين قيصر .

* * *

وكان حكم الاتراك بمصر فترة ركود وتدهور فى مختلف نواحى الحياة لا سيما الناحية الفكرية . ولم ينبغ من المصريين فى تلك العهود من يستحق الذكر ولكن ظهر فى القرن الثامن عشر المعلم ابراهيم الجوهرى الذى مات فى ١٧٩٥ م وكان رئيسا لكتاب مصر فى عهد ابراهيم بك وكانت وظيفته أكبر وظيفة حكومية فى ذلك العهد وقد قال فيه الجبرتى : « أنه كان من دهاقين العالم ودهاتهم لا يعزب عن ذهنه شىء من الامور » . وكان أخوه المعلم جرجس الجوهرى ثم المعلم غالى وزيرين للمالية فى عهد محمد على . وظهر عالم قبطى اسمه يوساب المعروف بابن الابح ترك بعض المؤلفات الدينية

ونذكر هنا أديبا قبطيا ولد باسيوط ١٧٨٤ ومات شابا فى السابعة والثلاثين هو الياس بقطر الذى ساعد علماء الحملة الفرنسية بمصر فى وضع كتابهم العظيم « وصف مصر » . وقد سافر معهم الى فرنسا ووضع قاموسا عربيا فرنسيا فكان أول من وضع معجما فى هاتين اللغتين .

ومن مؤلفى ذلك العهد البطرك بطرس الجاولى الذى كان صديقا لمحمد على وله رسائل عربية ومقالات فى موضوعات تعليمية واجتماعية ودينية وقد مات عام ١٨٥٢ ثم فيلوثاوس ابراهيم المتوفى سنة ١٩٠٤ وصاحب عدد من الكتب الادبية والدينية

« • »

أما فى عصرنا الحاضر فقد نبغ عدد كبير من الكتاب والمؤلفين الاقباط الذين كانت لهم اوضح الاثار فى تجديد الكتابة العربية والادب العربى . وأهم ميزات كتابتهم الرغبة فى التجديد والاتصال بالآداب الاوربية والتحرر الذهنى والبعد عن الزخرف والتنميق والسجع واللعب بالالفاظ ومعالجة كثير من الشئون العلمية والادبية والاجتماعية

وظهر لكتاب القبط عدد من الجرائد والمجلات كان لها شأن عظيم فى الحركة الفكرية والاجتماعية بمصر نذكر منها جريدة الوطن لصاحبها جندى ابراهيم بك. وجريدة مصر لمنشئها تادرس بك شنوده المنقبادى وما زالت تصدر الى اليوم وكان لها شأن عظيم فى الثورة المصرية والمطالبة بالاستقلال وما زلنا نذكر تلك المقالات الوطنية التى كان يكتبها بهذه الجريدة المرحوم سينوت بك حنا عضو الوفد المصرى بعنوان «الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا» ثم مجلة «المحيط» لصاحبها الكاتب المرحوم عوض واصف وقد تأسست عام ١٩٠٢ وكانت تعالج سنوات عديدة الابحاث العلمية والتاريخية والزراعية وكانت من خير المجلات المصرية الكبرى .. ومجلة «رعمسيس» لمنشئيها رمزى تادرس وكيرلس تادرس وقد بدأ ظهورها سنة ١٩١٢ وكانت من أهم المجلات المصرية الصميمة التى عملت على نشر الثقافة المصرية والابحاث التاريخية لا سيما المختصة منها بالحضارة المصرية القديمة والاكتشافات الاثرية كما كانت شديدة الاهتمام بالانباء العلمية والحركة الادبية .. ثم مجلة الكرمة التى أسسها عام ١٩٠٤ الشماس حبيب جرجس وهى مجلة أدبية تاريخية دينية .. ومجلة النيل المصورة لصاحبها الاستاذ فرج سليمان فؤاد .. ومجلة فرعون التى انشأها الاستاذ توفيق حبيب .. أما المجلة الجديدة

التى انشأها الاستاذ سلامه موسى وظهر لاول مرة فى أول نوفمبر ١٩٢٩ وما زالت حية عامرة فنشأتها وأثرها فى الثقافة المصرية معروفان لدى الجميع .. ثم مجلة الطالبة التى ترأس تحريرها الانسة الاديبة منيرفا عبيد والتى ظهرت هذا العام

ونذكر من الكتاب الاقباط الذين ظهروا فى عصرنا الحديث صاحب المعالى واصف غالى باشا وزير الخارجية السابق وابن رئيس الوزراء المرحوم بطرس باشا غالى . ويعد واصف باشا من اكبر الأدباء الذين حازوا تقدير الأوربيين . وفى مقدمة مؤلفاته كتابان فرنسيان أحدهما اسمه « حديقة الأزهار » للذى كتب مقدمته جول ليمتر عضو الأكاديمى الفرنسية . وبه قصد المؤلف أن يذيع ما استطاع عن العرب ومفاخرهم وفيه ترجم نماذج من الشعر العربى الذى يمثل الجمال الطبيعى والفخر والحماسة والمدح والهجاء والغزل والحكمة والنوادر . وثانيهما كتاب « حياة البطولة عند العرب » وهو بحث اجتماعى عن أخبار العرب فى البطولة والنجدة وفيه يشبههم المؤلف بتلك القبائل الجرمانية التى امتازت بالشجاعة والبأس وذكر فيه المؤلف أيضا ما عرف عن العرب من سجايا واكبار للمرأة .. ويعد هذان الكتابان اللذان وضعا باللغة الفرنسية خير دعاية من كاتب قبطى للعرب وفضائلهم وآدابهم لأهل أوربا

ويعد مكرم باشا عبيد كاتبا مصرياً عظيا وتبدو مواهبه الادبية فى خطبه المشهورة بسحر بيانها وجلال اسلوبها حتى أن الجماهير كانت تتعطش إلى سماعها كما تتسمع الى موسيقى ساحرة . واذا قدر لهذه الخطب العديدة أن تجمع فى عدة كتب فانها تكون من أحسن كتب الادب بالشرق العربى . وكذلك امتازت مرافعاته فى القضايا الكبرى ببلاغتها ومزجها الفلسفة بالقانون والحكمة بالادب ويشتاق الادباء الى جمعها فى عدة كتب . ولو لم يشتغل مكرم باشا بالناحية السياسية لكونه وكيلا للوفد المصرى لكان أعظم الكتاب والمؤلفين والصحافيين المصريين . وقد ذاع أنه كان ينوى تأليف كتاب عن حياة المسيح بالاشتراك مع معالى الدكتور هيكل باشا .

وممن اشتهروا أيضاً ببلاغة مرافعاتهم وخطبهم من أدباء الاقباط توفيق باشا دوس ووهيب بك دوس والمرحومان مرقص باشا حنا وويصا واصف بك والاساتذة مرقص بك فهمى ولويس فانوس وسابا حبشى بك وغيرهم —

وكان المرحوم سينوت بك حنا كاتبا وطنيا كبيرا ما زال الكثيرون يذكرونه بمقالاته البليغة « الوطنية دينا والاستقلال حياتنا » الا أن الحركة السياسية الوطنية كانت تشغله عن التفرغ الى الكتابة

وبين الكتاب الذين تخصصوا فى الموضوعات التاريخية وضموا فى التاريخ عديد المؤلفات الاستاذ توفيق اسكاروس ومن اشهر مؤلفاته كتاب « نوابغ الاقباط فى القرن التاسع عشر » . وفرح جرجس مؤلف كتاب « موجز المقال فى تاريخ مشاهير الرجال » الذى ظهر عام ١٩٠٩ . والمرحوم ميخائيل بشاره داود الذى أصدر عام ١٩١٦ مجلة « العظماء » وكان يترجم فى كل عدد منها عظيما من مشاهير الاغريق والرومان نقلا عن بلوطرخس ثم جمع منها المجلد الاول عام ١٩٢٨ فى « كتاب العظماء » . وهو أول مصرى كتب عن اخناتون اذ ألف عنه رواية عام ١٩١٦ اسمها « خوناتون فى الفراعنة » تمثل حالة الامة المصرية السياسية والاجتماعية والدينية فى عهد امنحتب الرابع . .

ومنهم الاستاذ جرجس فيلوثاوس عوض الذى قضى حياته ولم يزل يعالج المباحث التاريخية ووضع فى التاريخ عددا من الرسائل والكتب والمقالات ومن مؤلفاته كتاب « حياة بعد موت » . . والدكتور اخنوخ فانوس مؤلف كتاب « الاثر الخالد » . . وقلينى باشا فهمى مؤلف كتاب عصر فاروق الاول

ومن المؤرخين أيضا الدكتور سامى جبرا مكتشف الآثار المصرية المعروف . . والاستاذ نظمى ذكرى امين دار كتب المتحف المصرى ومؤلف كتاب « النيل فى عهد الفراعنة والعرب » وكتاب مرشد اهرام الجيزة . والمتحف المصرى . والادب والدين عند قدماء المصريين . . والمرحوم ميخائيل بك شاروبيم مؤلف كتاب « التايد فى مذهب التوحيد » وكتاب « تاريخ مصر القديم والحديث » والمرحوم يعقوب بك نخله مؤلف كتاب « تاريخ الامة القبطية » . . والمرحوم عطية بك وهبى صاحب كتاب « الاثر الذهبى » . . والمرحوم سليم سليمان مؤلف « مختصر تاريخ الامة القبطية » وغيرهم

أما المدرسة الحديثة فقد ظهر بها قادة للفكر المصرى ومجددون متحررون حاولوا رسالة احياء الادب العربى بمصر

يقول الدكتور هيكل باشا فى تقديمه لديوان الدموع للشاعر عزيز بشاى : « . . فهؤلاء الاقباط كانوا السابقين إلى تعلم القراءة والكتابة والحساب وغيرها أيام المغفور له محمد على باشا وخلفائه حين بدأت النهضة فى مصر بعد الحملة الفرنسية . وبعد أن كانت مصر قد هوت من مكان العزة الذى كان لها أيام المماليك الاولين إلى درك من الجهل . مع ذلك ظلوا بعيدين كل البعد عن الأدب العربى وعن الشعر العربى لا يتقدم منهم فى ميدانيهما متقدم ، وبالتالى لايبرز منهم فيهما مبرز . هذا مع أن نصارى سوريا ولبنان كانوا قد سبقوا المسلمين فى هذا المضمار فلم تحل مسيحيتهم دون اقتحامهم اياه وسبقهم فيه . ولقد شعر الأقباط بذلك أخيرا فأقبلوا على الادب وعلى الشعر وألفوا فيهما

« وديوان الاستاذ عزيز بشاى هذا ثمرة من ثمرات ذلك الاقبال والاقدام . وليس هذا التقديم مجال البحث فى مبلغ النشاط القبطى فى الادب والشعر العربى . فمثل هذا البحث يحتاج إلى دراسة مستقلة تتناول الشىء الكثير مما ظهر فى عالم الادب فى الاعوام الاخيرة . . على أن هذا الاقبال لا يمكن أن يعزى إلى انقلاب مفاجىء من الأقباط إزاء الادب العربى ، انما هو بعض ظاهرات النشاط القبطى بوجه خاص ، وبعض ظاهرات النشاط المصرى بوجه عام فى السنوات الاخيرة . وهو بعض ثمرات النشاط القبطى بوجه خاص .

« فقد برز الأقباط فى كثير من المهن والفنون فصار منهم الأطباء والمحامون والمهندسون والمشتغلون بالأعمال الحرة المختلفة ممن يعتبرون فى الدرجة الاولى . فمن الطبيعى اذن أن يمتد النشاط الثقافى عندهم إلى سائر النواحى . والادب والشعر بعض هذه النواحى . وهم قد وجدوا فى الصحافة ميدانا خصبا لابراز ثمرات تفكيرهم وشعورهم كما وجد غيرهم فيها هذا الميدان فأقدموا وتقدموا وألقت يراعاتهم من نفثاتها ما اجتمع من بعد كتبا فى الادب والشعر لها قيمتها . . »

نعود إلى كتاب المدرسة الحديثة فنجد أن الاستاذ سلامه موسى يعد فى نظر الكثيرين زعيما للمجددين فى الأدب المصرى وهو بألوف الأبحاث ، والمقالات التى نشرها فى الصحف والمجلات المصرية وبمجلته الجديدة الشهرية والاسبوعية وبمؤلفاته العشرين . يعد بحق ذا أثر فعال فى الحركة الادبية المصرية وصاحب مدرسة أدبية حديثة . وقد ظهرت مؤلفاته الأولى منذ ربع قرن إذ نشر فى عام ١٩١٤ كتيباه الاشتراكية والسبرمان ونشوء فكرة الله . ثم توالت مقالاته وكتبه منذ ربع قرن

إلى اليوم ترمى كلها إلى تحرير الفكر وتجديد الحياة المصرية ولفت النظر إلى أهم المسائل والمشاكل التى تظهر فى الغرب من آونة الى اخرى . وقراء هذه المجلة الجديدة يعرفون مدى جهود صاحبها فى تجديد الادب المصرى وتحريره والسمو به إلى النواحى الجديدة والاتجاهات العصرية الهامة . والحديث عن الاستاذ سلامه موسى ومؤلفاته يحتاج إلى مقال خاص يضيق المقام هنا عنه .

ويعتبر الاستاذ توفيق حبيب « الصحاف العجوز » من الكتاب المجددين ذوى الرأى الحر . وقراء « الهامش » الذى يكتبه كل يوم بالاهرام يرون جليا مدى اخلاصه فى الدعوة إلى التجديد والاندماج فى الحضارة الاوربية وتحرير الفكر وتقدير جهود الأفراد العاملين . وهو ذو اسلوب خفيف رشيق بسيط يعالج شتى المسائل الاجتماعية والتاريخية ويرسم ماير وقه من الصور الاوربية التى يصادفها فى رحلاته العديدة فى ربوع الغرب . وهو صحاف قديم يكتب منذ خمسين سنة فى شتى الصحف والمجلات فكان يعاون الشيخ يوسف الخازن فى جريدة « الاخبار » القديمة . وأصدر مجلة فرعون . وله عشرة كتب مطبوعة هى : الفجالة قديما وحديثا ١٩١٦ ـ تذكار المؤتمر القبطى ١٩١١ ألحان الكنيسة القبطية ١٩١٦ ـ الفنان الكتافة ١٩٢١ ـ جهاد شاب وطنى « قريا قس ميخائيل » ١٩١٩ ثم ماجمعه من هامشه بالاهرام مثل سياحة الى اسطنبول ١٩٣٢ ـ ورحلة صيف الى تركيا واليونان وايطاليا ١٩٣٣ ويرسوم العريان وآخرون ـ وشهران فى اوربا ١٩٢٥ ـ وابو جلده وآخرون .. ومازالت له كتب تحت الطبع

ومن الكتاب المتحررين المجددين الدكتور امير بقطر مؤلف كتاب « الدنيا فى اميركا » ١٩٢٦ وكتاب « آراء حديثة فى التعليم » ١٩٣٥ ـ وهو كاتب اجتماعى يتجه اهتمامه نحو علم التربية وطرق التعليم ونحو تجديد الحياة المصرية والأخذ بالأساليب الغربية وتظهر له مقالات كثيرة فى المجلات الشهرية وبمجلة التربية الحديثة التى تصدر عن الجامعة الامريكية حبذا لو جمعت فى مجلد تكون له قيمته .

وللاستاذ نقولا يوسف عدد من المؤلفات ظهرت فى فترا مختلفة منها خمسة كتب ترجمها فى صباه أولها كتاب عن اليابان ونهضتها نشره فى السادسة عشرة من عمره عام ١٩٢٠ وهو ينشر فى الصحف والمجلات عديدة الابحاث والمقالات ويدعو الى الاصلاح منذ عشرين سنة وكان فى مستهل حياته الادبية شاعرا وظهر له أولى مؤلفاته « الفردوس » عام ١٩٢٢ وكتاب آخر فى الشعر المنثور

اسمه « نسمات وزوابع » ظهر عام ١٩٢٧ وظهر كتاب « الحياة الجديدة » فى عام ١٩٣٦ وبه أكثر من ستين بحثا عالميا ومصريا وظهرت رواية المصرية « الهام » فى ١٩٣٧ وبعد الآن كتابا عن « العالمية » سيظهر قريبا . وهو فى كتابته يدعو إلى تجديد الحياة والأدب والفن وإلى اصلاح مرافق الحياة المصرية وترقية المجتمع كما أنه من أكثر الكتاب اطلاعا وثقافة . وأسلوبه الصريح الناصع يتميز بالتفكير المنطقى والآراء الحديثة

وقد اختص الاستاذ يعقوب فام بالكتابة فى موضوعات التربية وعلم النفس وله ثلاثة مؤلفات قيمة كتاب « التربية والاخلاق » ١٩٣٠ – وكتاب « دراسات فى الاخلاق » ١٩٣١ وكتاب البراجماتزم ١٩٣٥ – وكلها من أحسن الكتب العربية فى بابها . والاستاذ يعقوب درس فى اميركا مثل الدكتور امير بقطر وهو مثله ذو اسلوب واضح على وذو أثر فى مسائل التربية والاخلاق والدعوة إلى تجديدها ورقيها

وللاستاذ ابراهيم المصرى خمسة مؤلفات قيمة هى « الادب الحى » ١٩٣٠ – والادب الحديث ١٩٣٢ – والفكر والعالم ١٩٣٣ وصوت الجيل ١٩٣٤ وكتاب وحى العصر ١٩٣٥ – وله كتابان مترجمان عن الفرنسية هما الماضى الحى – وتاريخ الحب ١٩٣٧ – وهو يعالج تأليف الدرامة المصرية كما فى روايتيه الانانية ونحو النور . وهو ذو اسلوب قوى صريح ومن الكتاب المجددين المطلعين على الادب الفرنسى خاصة والادب الاوربى عامة

وقد ترجم المرحوم يوسف اسكندر جريس عددا من الكتب القيمة مثل أصول المنطق – والعاصفة لشكسبير ورواية مريم المجدلية وغيرها .

واختص الاستاذ منصور عوض بالتأليف فى فن الموسيقى كما اختص الدكتور نظرى بالكتابة والتأليف فى المسائل التناسلية وله فى هذه الناحية العلمية مؤلفات قيمة منها كتاب المرأة وفلسفة التناسليات وكتاب الأمراض التناسلية وعلاجها . وكذا اختص الاستاذ عبد الحليم الياس نصير بمعالجة الشئون الاقتصادية فى الجرائد الكبرى .

وثمت طائفة كبيرة من الكتاب الاقباط الذين ظهرت لهم بعض المؤلفات المختلفة الموضوعات والاغراض لكنها ترمى جميعا الى الاصلاح والخير . كما أن هناك عددا كبيرا آخر . يكتفى بكتابة

الابحاث والمقالات من حين لآخر ويضيق هنا المقام عن ذكرهم جميعا وذكر جهودهم المشكورة ومؤلفاتهم ومترجماتهم المتنوعة وخدماتهم الجليلة للغة العربية

غير أننا قبل أن نختم هذا البحث الذى يحتاج الى دراسة خاصة وكتاب خاص نشير إلى طائفتين من الكتاب الاقباط أولاها طائفة جديدة من الكاتبات القبطيات النابغات مثل الآنسة ايفا حبيب المصرى رئيسة تحرير مجلة المصرية وصاحبة المقالات الاصلاحية القيمة والآنسة ايريس حبيب المصرى مؤلفة كتاب « التربية وعلم النفس » ومترجمة كتاب فجر الضمير وكاتبة عديد الابحاث التاريخية والاجتماعية . والآنسة منيرفا عبيد رئيسة تحرير مجلة الطالبة والآنسة أمينة شاكر فهمى والآنسة بسيمة زكى ابراهيم صاحبة المؤلفات المعروفة فى التدبير المنزلى . وخصوصا السيدة استر فهمى ويصا الخطيبة والكاتبة المشهورة .

والطائفة الثانية تجمع عدداً من الكتاب الشباب المستنيرين ينشرون المقالات القيمة على صفحات المجلة الجديدة مثل الاساتذة عزمى الدويرى وبشرى الضبع وجورج عزيز المحرر بالبلاغ ونظمى شحاته وأسعد حسنى وزكى الحكيم ورمسيس جبراوى والدكاترة الافاضل كامل لبيب وكامل يعقوب وصبرى جرجس ووديع فرج . وغيرهم ممن لا تعى الذاكرة أسماءهم ومما يضيق المقام عن سرد جهودهم وآثارهم وتحليل أدبهم وتكتفى الاشارة إلى ما أدوه جميعا إلى الأدب المصرى واللغة العربية من خدمات

أحمد فهمى



من المجلة الجديدة

الى وزير المعارف

المجلات العربية التى قررتها وزارة المعارف واشتركت فيها بالمدارس الابتدائية الاميرية لسنة ١٩٣٨

(١) مجلة الرسالة عدد ٢ لكل مدرسه
(٢) « الموظف « ٢ « «
(٣) « الشبان المسلمين ١ « «
(٤) « مكارم الاخلاق ١ « «
(٥) « دار العلوم ٢ « «
(٦) « نشر الفضائل ١ « «
(٧) « بابا صادق ٢ « «
(٨) « الرابطة العربية ١ « «
(٩) « المقتطف ٤ أعداد لكل مدرسة
(١٠) « الهلال ٤ « « «
(١١) « الموسيقى ٢ « « «
(١٢) « فلاحة البساتين ١ « « «
(١٣) « سمير التلميذ ١ « « «
(١٤) « الاتحاد الدولى للرسم ١ « « «
(١٥) « العلوم ٣ « « «
(١٦) « الاسلام ١ « « «
(١٧) « الحديقة والمنزل ١٠ « « «
(١٨) « الراديو ١ (فى المدة الدراسية)
(١٩) « التربية الحديثة ١ « « «

الى صاحب المعالى وزير المعارف العمومية

المجلات المذكورة قررتها وزارة المعارف فى هذا العام وارسلت إلى المدارس الابتدائية الاميرية وليس بينها (المجلة الجديدة) التى تعمل منذ سبع سنوات على نشر الثقافة الجديدة والتى لا تقل فى قيمتها الادبية عن أية مجلة من المجلات السالفة الذكر

الجنون: هذا المرض المعقد

رجل طويل القامة . عريض الاكتاف . قوى البنية . ممتلىء الجسم . يسير فى تمهل وارتباك يزدادان وضوحا كلما شاكسه الصغار . فمن خلفه صبي يجذب جلبابه وعن يساره آخر يقذفه ببعض التراب . وعن يمينه آخر يرجمه بحجر . ومن بعيد يتبعه شاب يناوش اطرافه بعصا . فلا يسع الرجل الا ان يحرك يديه فى حركات تدل على عيب فى تركيب اعضائه . فاذا تكلم خرجت من فمه الفاظ يعسر على السامع ان يفسر لها معنى كما يتعذر عليه ان يتبين لها مقاطع وهو لا يكاد يفتح فمه ليقولها حتى يسيل لعابه . وهكذا يظهر غضب الابله المسكين والقوم من حوله ينظرون ويضحكون .

مثل هذا الشخص معتوه او ابله او سمه ما شئت من الالفاظ التى تدل على ضعف القوى العقلية . ولا يكاد يمر يوم واحد حتى نرى من امثاله كثيرين فمصر عامرة بهذا النوع من المخلوقات التى يضعها العامة فى مصاف الاولياء اذ يرون فيهم شيئا لله . او يرون فى سذاجتهم وتجردهم من الارادة ومن التمييز بين الضار والنافع ما يبعدهم عن كل شر مقصود

وهذه المخلوقات التى فقدت السيطرة على حركات جسمها تقابل من البعض بالرحمة ومن البعض الآخر بالسخرية ولا ذنب لهم ولا جريرة الا ان بعض مراكز المخ عندهم اصابها نوع من الارتباك فارتبك تبعا لها بعض الحواس والاعضاء كحواس السمع والحس والحركة والكلام وغيرها . وليس معنى هذا ان كل اعمى او اطرش او اخرس ضعيف القوى العقلية فربما كانت العاهة بسبب خلل طرأ على العضو نفسه . ولكنه من الثابت ان بعض هذه العاهات قد تنشأ من ضعف فى القوى العقلية

والضعف العقلي وخصوصا الدرجات السفلى منه من المعضلات التى منيت بها كل امة فانتشر اصحابها فى كل مكان لا يعرفون كيف يستدرون رحمة ولا كيف يثيرون نخوة فهم كالحيوانات لهم من يقيهم ولهم من يؤذيهم . وهم فى كلتى الحالتين قلما شعروا بحقد او شكر . فان التقدير الصادق معدوم عندهم . فاذا لم يجدوا من يرعاهم قتلهم البرد واضناهم الجوع وفتكت بهم الأمراض . وتحاول حكومتنا ان تضعهم فى مستشفياتها بالعباسية والخانكة ولكن المستشفيين محدودان فى المساحة والميزانية ولا

يتسعان الا لعدد محدود معين . والمجانين كثيرون .

منشأ الامراض العقلية

والامراض العقلية نوعان . ففي الاول يقف نمو الانسان عند سن معينة . فبينما تكون سنه الزمنية ٢٠ سنة مثلا تقف مدركاته وقواه العقلية عند الثامنة او العاشرة . فهو شاب كبير الجسم قوي العضلات ولكنه ضعيف الادراك عاجز عن التصرف . وينقسم هذا النوع الى ثلاث مراتب رئيسية اولها واحطها الابله Idiot وتتراوح سنه العقلية بين سنة او سنتين والمغفل Imbecile وسنه بين ٣ ـ ٧ سنوات والثالث وارقاها السفيه moron سنه بين ٨ـ١٢ . ولا يمكننا ان نضع حدا فاصلا بين هذه المراتب الثلاث . ويمكننا رسمها بخط مائل مستقيم نضع الابله اسفله والسفيه اعلاه والمغفل في الوسط . وغني عن الشرح ان نقط المستقيم الاخرى تمثل بعض ضعاف العقل

وتنتج هذه العيوب دائما عن نقص في نمو العقل . ولكن هناك نوعا ثانيا حين يتم الانسان نموه العقلي ثم يطرأ عليه ما يؤذي ملكاته او يربكها فيصاب بالجنون كما يحدث في الشيزوفرنيا والسفلس والبارانويا وغيرها وقد تكون الوراثة عاملا فعالا في النوعين

ويقسم اطباء الامراض العقلية تلك الامراض الى ٢٢ نوعا يبوبونها تحت ثلاثة ابواب رئيسية

١ — تلك الامراض الناشئة عن افرازات سمية ناتجة عن امراض جسمية كما هي الحال في حميات التيفويد والانفلونزا والحمى القرمزية والسكري أو عن تسمم ينشأ عن تعاطي المخدرات والكحول . وهذا قليل بل أن بعض اطبائنا يرى ان تعاطي المخدرات نفسه قد يكون من ظواهر الجنون اومما يساعد على اظهاره وفي حالات قليلة يكون سببا في الجنون

٢ — الامراض الناتجة عن اضرار تصيب المخ كما هي الحال عند اصابة المخ بعدوى السفلس أو لاضطراب الدورة الدموية فيه . او لوجود اورام فيه او في حالات معينة من الانحطاط الذي قد يحدث في الصرع

٣ — امراض ذات اصل عقلي ومنها الشيزوفرنيا (جنون المراهقة) والبارانويا . ومن هذا القسم ايضا الامراض العصبية كالهستريا والنورستانيا وغيرها . ومن اخطر هذه الامراض مرض

الشيزوفرنيا أو « الديمنشيا بريكوكس » ويلقبه البعض بالعته المبكر وقد دلت الاحصائيات فى الخارج على ان نسبة المصابين به ٣٠ فى المائة من المجانين وهى نسبة كبيرة تقض مضاجع المهتمين بامر الصحة فى الولايات المتحدة الامريكية . وهم يرون انه معضلة لاتقل خطورة عن السرطان ولذا وجه العلماء جهودهم لمحاربته . ويقال ان عدد المصابين به يتجاوز عدد المصابين باى مرض آخر سواء اكان هـذا المرض جسمانيا او عقليا . وتشغل حالاته فى الولايات المتحده ٤٠٠٠٠٠ سرير تزاد سنويا مايقرب من ١٠٠٠ مريض فان شفاء هذا المرض متعذر . وزيارة واحدة لمستشفيات الأمراض العقلية فى مصر تبين ان النسبة تتجاوز ٣٠ فى المائة

والشيزوفرنيا هى (الجنون المبكر) وهو مرض عقلى يهاجم المراهقين فى الغـالب بين سن ١٥ ـ ٣٠ كما يصح ان يصيب اناسا فى سن اكبر او اصغر فيرجع بعقليتهم الى الوراء فيلتصق المريض باخلاق وتجارب معينة لايتخطاها فهو كالاطفال كثيرا الاحلام والخيالات يبنى قصوره فى الهواء . وقد يبدو هذا عاديا فى تصرفات الاطفال الا ان التطرف فى هذا النوع يبعد الانسان عن مواجهة الواقع بما يكسبه من خبرة ومرانة اذا يقصر نمو الشخص عن التقدم العقلى . واكثر الناس تعرضاً لهـذا المرض هم الاطفال اذا كانوا كثيرى الحساسية واحاطت بهم بيئات خشنة لا يحتملها شعورهم فيلجأون الى التراجع عن مواجهة الحقيقـة الواقعة مفضلين الانهماك فى التخيل الذى يرضى رغباتهم

فريض الشيزوفرنيا يقف نمو عقله أو يتراجع ولا يصل الى مستوى الرجال فهو يريد دائما أن يظل طفلا يحتاج الى من يعنى بأمره ومن يحقق له دنياه التى يبنيها على أجنحة الخيال . فيأمر وينهى بكل سهولة ولـكنه لا يحاول أن ينفذ شيئا بنفسه . وخير طريق ودليل على احتفاظ الأنسان بقواه العقلية أن ينفذ مشروعاته بنفسه أو يكون دائما مستعدا لتنفيذ الجانب العملى فيها

هزال التدليل

فاذا عرفنا كيف نعامل الاطفال والمراهقين ونربيهم تربية صحيحة أمكننا فى الاغلب أن نقيهم شر هذا المرض العضال . أما أولئك الاباء والامهات الذين يدللون أبناءهم ويخشون عليهم مر النسيم فيتطرفون فى توفير كل اسباب الراحة لهم حتى يفقد الابناء القدرة على التصرف ويشعروا بروح

الاشكال التى تنقلب بعد مدة الى نوع من الانحطاط فان أولئك الاباء والامهات يوقظون فى ابنائهم بذور مرض الشيزوفرنيا وبالتالى يفسدون حياتهم ويبعدونهم عن سبل السعادة التى كانوا يريدونها لهم .

واذا كانت حالات التدليل تنطبق على اقليم فانها ابرز ما تكون فى مصر حيث يغالى الامهات فى تدليل ابنائهن فيرفضن الابتعاد عنهم حتى ولو كان فى ذلك سعادتهم ومصلحتهم . فانى اعرف شبانا لا يعرفون مكان احذيتهم ولا كيف يرتبون ملابسهم اذا خلعوها . وذلك لان الامهات يعز عليهن ان يتعبن فلذات أكبادهن فى مثل هذا العمل: هؤلاء الابناء عرضة لمرض الشيزوفرنيا

ولو كان البيت المصرى أكثر ملاءمة لحياة الشبان والصبيان لزادت النسبة فى هذا المرض ولكن كره الاولاد للمعيشة المنزلية واحتكاكهم بالاوساط الخارجية المبعدة عن التدليل يعطيهم فرصة النمو العقلى والرجولة والقدرة على مواجهة الحياة العامة الحقيقية بمافيها من خبرة وتجربة ومفاجآت

ويصيب نوع من الشيزوفرانيا البارانوئية المراهقين بنفس الحالات ولكنه بدل ان يشعر المراهق بضعفه وانحطاطه او عدم صلاحيته للمعيشة فى بيئته فانه يكون شعورا قويا من الكره والشك والخوف فيحاول المريض ان يحتفظ بنفسه فيشعر بشك نحو كل شئ . ويخيل اليه ان هناك من يريد قتله أو من يتجسس عليه أو من يبغضه . فاذا حادثته قال لك انه رأى شخصا مختبئا وراء الحائط اوتحت السرير او ما شابه ذلك من التصورات التى تعتبر بدء انحلال القوى العقلية والتى يعتبرها الدكتور كارل منتجر «سرطان الحياة العقلية»

وليس معنى هذا ان اى شك يتولانى أو يتولاك يمكن ان يعتبر بداية الانحلال العقلى . ولكن التطرف فى الشك والتمسك به يمكن ان يكونا البداية . لانه يؤثر فى عقل صاحبه فيقض مضجعه نتيجة خطأه فى فهم الحياة والعالم المحيط به . ونتيجة تقديره لنفسه أكثر مما يجب . ويتحول هذا الاعتقاد شيئا فشيئا الى جنون

يباشر المصاب أعماله كالعادة كأى شخص سليم ولكنه يحمل فى قرارة نفسه سوسة الخوف والكره التى تأكل عقله وتفزعه ثم تدفعه الى تصرفات جنونية يحاول بها أن يحمى نفسه من عالم لا يستطيع أن يناضل فيه . فقد بنى فهمه للعالم على مدركات خاطئة واوهام لا وجود لها وأهم هذه

الاوهام أن يستقر فى عقله انه انسان مضطهد يطارده الناس لسبب أو لغير سبب ويبدو لنفسه انه شخصية ممتازة متفوقة على غيرها من الناس . وهكذا تعكس الاوهام احساسه بالضعف والانحطاط ازاء العالم الى صورة ممتازة عظيمة فيتخيل نفسه عظيما

وهناك نوع آخر من الجنون يرفع صاحبه الى حد الزهو والغطرسة أو يخفضه الى حد الكآبة والانقباض ويعيش صاحب هذا النوع عاديا الا فى فترات معينة عندما تأتيه النوبه الجنونية فاذا اتيحت لمثل هذا الشخص الفرصة فانه يشفى . الا اذا أن النوع الاكتئابى ينتحر غالبا اذ يسعى الى هذه الغاية بكل الطرق والحيل الممكنة واذا أمكن تجنب الانتحار فان ٣٧ فى المائة من المصابين يشفون تماما و٢٥ فى المائة يتحسنون

الوقاية والعلاج

يرى كثير من أطباء الامراض العقلية أن تلك الامراض يمكن تجنبها وعلاجها اذا بوشر الاهتمام بامرها فى الوقت المناسب . كما أن الانسان يجب الا يكون كثير القلق حتى ولو كان هناك من الاسباب ما يدعوه الى خوف الاصابة باحدها كأن يشب فى عائلة مصابة باحد أمراض الجنون اذ من المحتمل جدا انه لم يرث تلك الامراض . ولكن وجودها فى العائلة يكون بمثابة تحذير له فيسعى دائما ليوفر لنفسه الاسباب التى تجعله فى حالة جسمية وعقلية جيدة . فلا شك ان الوراثة عامل مهم فى نقل الامراض العقلية ويقدر بعض علماء النفس مرضى الامراض العقلية من اثر الوراثة ب ٥٠ فى المائة كما انهم يقدرون نسبة الشفاء والتحسن التى تمكن صاحبها من المعيشة فى هدوء بنسبة ٤٠ فى المائة . وهناك فريق آخر شديد التفاؤل يرى ان كل الامراض العقلية يمكن شفاؤها كما يمكن الوقاية منها

ويبين علم الصحة العقلية الوسائل التى يمكن بها تحسين الحالة العقلية والوقاية من الامراض سواء كانت هذه الوسائل تعليمية ام اجتماعية ام طبية . فالمدرسة مثلا من خير الاسلحة لمقاومة تلك الامراض لانها تؤدى واجبا جوهريا فى صقل شخصية الطالب وتنميتها فى الفترة المرنة من حياته اذ يسهل عليها تقويم المعوج كما يمكنها تكوين ملكات وعادات تضمن صحة الطفل فى المستقبل

ولا تقل وظيفة البيت عن وظيفة المدرسة فى تكوين عقلية الطفل واعدادها للحياة المستقبلة فقد

دلت التجارب على ان الاطفال الذين يستثون الاستجابة للمؤثرات التى تحيط بهم نتيجة التربية فى بيوت سيئة النظام والترتيب والعادات. والعكس بالعكس اذ الاطفال الذين يجيدون الاستجابة والتصرف للمؤثرات التى تحيط بهم نتيجة معيشتهم مع آباء وامهات متزنى الاخلاق معدين بمقدار من الذكاء يحكمهم من قيادة اطفالهم فى طريق امين معبد

ويرى الدكتور كارل منتجرانه فى استطاعة كل انسان ان يحتفظ بحالتـه العقلية ويحسنها اذا تبع نصائحه التى ذكرها فى كتابه «العقل البشرى» حيث يقول:

١ — اجعل مثلك الاعلى ان تواجه الحقيقة بكل امانة ومرح تستطيعها

٢ — نمى علاقتك الاجتماعية وثقافتك الاجتماعية

٣ — راقب الارتباكات العصبية وحاول ان تستفيد منهـا بان تسمو بها

٤ — اعرف علامات الامراض العقلية وتعلم ان تداويها على احسن وجه

٥ — اعلم ان الانسان اخير السعيد دائماً الحيا

ومن اهم الامور ان يعرف الانسان علته ويحاول ان يداويها عن خير طريق بارادة قوية وعزيمة صادقة وامانة فى التقدير

ويرى الدكتور منجز ان واجب الطبيب يحتم عليـه ان يفحص عن مريضه فحصاً تفصيلياً دقيقاً. ويجب ان يتناول الفحص النواحى الجسمانية والعصبية والكيمائية مع استخدام اشعة رونتجن وغيرهامن الادوات التى قد تصل بحثه الى نتيجة حاسمة فاذا انتهى الطبيب من هذا الفحص عن مريضه من الناحية العقلية فيعرف شخصيته ويحاول ان يصل الى الحوادث المباشرة التى ادت الى الانهيار العقلى وهكـذا يمكـنه ان يكون رأياً عن المرض وسيره وخطورته وبالتالى يمكـنه ان يصف العلاج الذى يراه انجع لشفاء الحالة التى يواجههـا

وفى مصر

فى مصر مستشفيان لعلاج الامراض العقلية احدهما فى الخانكة معد لحوالى ١٥٠٠ مريض وهو يشغل ارضاً واسعة فيحتله الان ٢٣٠٠ مريض اى انـه يحتوى ٨٠٠ مريض زيادة عما هو مقدر له ويشرف على كل هذا العدد الضخم تسعة اطبـاء اى ان كل طبيب مسئول عن اكـثر من ٢٥٠

مريضا وهذا المستشفى مجانى خصص من اسرته ٥٠٠ لمرضى العقل من المجرمين

اما مستشفى العباسية فبه حوالى ١٤٠٠ سرير ولكنه يحتوى حوالى ٢٢٠٠ مريض بزيادة ٨٠٠ مريض ويشرف عليه تسعة اطباء ايضا اى ان كل طبيب مسئول عن ٢٤٥ مريضا تقريبا وبهذا المستشفى قسم للسيدات به ١٣٦٩ امرأة . وبالمستشفى قسمان قسم يعالج المرضى بغير اجر وقسم يعالجهم باجر يتراوح بين ٤٠ قرشا وعشرة قروش

وقد كان نزلاء المستشفين سنة ١٩٣٦ ٤١٦٩ مريضا وكان عدد الذين دخلوها فى تلك السنة ٢١٦٣ فارتفع العدد من ٤١٦٩ الى ٤٥٠٠ فى السنة الحالية اى أن الاطباء يقابلون أكثر من ٢٠٠٠ حالة جديدة تحتاج الى عناية ورعاية تامتين .

ويقدر الاطباء ستة أشهر لاعتبار الحالة حادة تستدعى التفات الطبيب التام ورعايته . فاذا قدرنا أن حالات المرض الحادة الفين فى السنة وصلنا الى أن الحالات الحادة المستمرة هى الف . أى أن كل طبيب مطالب بان يعالج أكثر من ٥٥ حالة حادة يوميا اذا تجاوزنا عن النزلاء القدماء . وهذا مجهود مضنى لا يمكن معه انتظار نتيجة ناجحة ، ولذلك اختلف تقدير الاطباء المصريين فى نسبة شفاء المرضى فبعضهم يقول انها ثلاثة فى الألف والبعض الآخر يقول انها عشرة فى المائة وفريق ثالث يرى أن نسبة الشفاء ٣ فى المائة ونسبة التحسن ٢٧ فى المائة.ويرجع هـذا الى الاختلاف فى التقدير لغموض حالات المرض وتنوعها

ويعتبر الطبيب فى انجلترا مسئولا عن ٢٥٠ مريضا منهم عشر حالات حادة فقط ولا شك أن هذا يتيح للطبيب فرصة الاشراف التام على مرضاه وخصوصا فى الحالات التى تعتبر حادة.فاذا اعتبرنا فرق التمريض والمرضين وجدنا أن الفرق شاسع. فى مستشفينا يؤتى بالمرضين الذين لا مؤهلات طبية لهم . بينما الحال بخلاف هـذا فى انجلترا اذ الممرضون أناس مدربون لهم مؤهلات و كفايات تغنى الطبيب عن عناء كبير

وكما يختلف الاطباء فى تقدير نسبة من يشفون ويتحسنون فهم يختلفون أيضا فى تقدير المدة اللازمة لقطع الرجاء من الشفاء فبعضهم يقدرها ثلاثة أشهر يتعذر بعدها شفاء المريض .وبعضهم يقدرها سنة . وفريق ثالث يقول انه عالج حالات تحسنت بعد مضى سبع سنوات . ويرى بعض الاطباء أن معيشة المرضى جماعات مع بعضهم البعض مفيدة لمنع بعض الحوادث التى تحدث بين المرضى ويرى

اخرون ان هذه المعيشة تؤخر بل يتطرفون فيقولون انها تمنع الشفاء أو تزيد المريض جنونا

تجارب جديدة

وقد بدأت ادارة مستشفيات الامراض العقلية منذ أربعة أشهر تقريبا باجراء تجارب جديدة فاستعملت حامض النيكوتين فى محلول قوته ٢٥ ملليجرام فى السنتيمتر الواحد لحقن المرضى مرتين كل يوم بكمية قدرها ٤ سم لمدة عشرة أيام وقد جربت هــذه العملية فى ١١ مريضا ومريضة توفيت واحدة وتحسن ثلاثة وما زال الباقون تحت العلاج . وقد اتبع هذا العلاج فى بعض حالات البلاجرا التى يسهل تمييز التحسن فيها فكانت النتيجة مبشرة بالخير .

ويجرب المستشفى مادة ثانية وهى كارد يزول وقد استعملت هذه التجربة فى نطاق أوسع فبلغ عدد المرضى ٥٠ مريضا يحقنون كل اسبوع من حقنتين الى ثلاثة فى مدة شهرين الى ثلاثة ويؤمل القائمون بالامراض أن تصل هذه التجارب الى نتائج مرضيــة اذ ظهر التحسن العام على المرضى بالشيزوفرنيا

وغنى عن القول أنه يجدر بوزارة الصحة أن تعمل على زيادة عدد الاطباء فى مستشفياها كما يجب أن تنشىء مستشفيات أخرى فان شعور الرأى العام قبل هذه الامراض هو شعور الخيبة لان نسبة الثلاثة فى الالف التى يعتقد أكثر الناس انها أقرب الى الحقيقة نسبة لا تسر وأنه من العار أن نرى أولئك الافراد يتسكعون فى الطرقات فى غير رعاية أو عناية

زد على ذلك ان التجارب التى يريد الاطباء اجراءها لا يمكن ان تأتى بالنتيجة المطــلوبة اذا كانوا لا يجدون الوقت الــكافى لمراقبتها مراقبة دقيقة تفيدهم فى تقدير الداء والدواء ومقاومة غيره من الحالات فقد شاهدت اطباء مخلصين لمهنتهم ولخير الانسانية ولكنهم مع الاسف لا يجدون الوقت الــكافى لتحقيق ابحاثهم كما ان الكثير من المرضى لا يجد الوقت الكافى للبقاء تحت رعاية الاطباء لان المرضى كثيرون والمستشفيان مضطران الى التخلص من بعض المرضى باخراجهم واحلال غيرهم محلهم . وبهذا يفقد المريض العناية والرعاية المفروض وجودها فى المستشفيات المخصصة بعلاج هذا النوع من الامراض والتى يجب ان تكون متوفرة فليس سواد الشعب المصرى من سعة الثروة بحيث يمكنه البحث عن العلاج خارج القطر ؟

فوزى جيد الشتوى

رءوس الحيوان

الصف الاول من اليمين : زرد . ببر . شمبنزى
« الثاني « « جمل . صقر . سلحفاة
« الثالث « « غزالة . غزال . فرس النهر

أحب من الناس العامل

لجبران خليل جبران

احب من الناس العامل

أحب الذى يشتغل بفكره فيبتدع من التراب ومن سديم خياله صورا جميلة جديدة نافعة

احب ذاك الذى يجد فى حديقة ورثها عن أبيه شجرة تفاح واحدة فيغرس الى جانبها شجرة ثانيـة

احب ذاك الذى يشترى كرمة تثمر قنطارا من العنب فيعطف عليها ويدللها لتعطى قنطارين

احب الرجل الذى يتناول الاخشاب الجافة فيصنع منها مهدا للاطفال

والرجل الذى يقيم من الصخور التماثيل والمنازل والهياكل

احب من الناس العامل

احب ذاك الذى يحول الطين الى انية للزيت او العطر

واحب الذى يحول من القطن قميصا ومن الصوف جبة ومن الحرير ثوبا

احب الحداد الذى ما انزل مطرقته على سندانه الا وانزل معها قطرة من دمه

واحب الخياط الذى يخيط الاثواب باسلاك مشتبكة من نور عينيه

واحب النجار الذى لا يدق مسمارا الا ودفن معه شيئا من نزيتته

احب جميع هؤلاء

احب اصابعهم المغموسة بعناصر الارض

احب وجوههم بما عليها من سيماء الصبر والتجلد

احب جباهم المشعشعة بنور الاجتهاد

وفى قلبي حب عميق للراعى الذى يقود قطيعه كل صباح الى المروج الخضراء الصافية ـ ويناجيه

بسبابته النهار بطوله وعندما يقبل المساء يعود به الى الحظيرة حيث الراحة والطمأنينة

احب من الناس العامل لانه يطعمنا ويحرم نفسه. احبه لانه يتعب ويحوك للنـاس الاثواب الجديدة واولاده فى ملابسهم القديمة. احبه لانه يبنى المساكن العالية ويسكن الاكواخ الحقيرة

احب ابتسامته الحلوة واحب نظرة الاستقلال فى عينيه

احب العامل لانه لدعته يحسب نفسه خادما وهو السيد . واحبه لانه لحشمته يظن نفسه فرعا وهو هو الاصل . واحبه لانه خجول فاذا اعطيته اجرته شكرك قبل ان تشكره . واذا مدحته على عمله رأيت الدموع فى عينيه

احب من الناس العامل . احب الذى يحنى ظهره لتستقيم ظهورنا ويلوى عنقه لترتفع وجوهنا نحو الاعلى . احب من الناس العامل

وماذا عساى ان اقول فى من يكره العمل لخمول فى جسده وروحه وفى من يأبى العمل لانه فى غنى عن الربح وفى من يحتقر العمل متوهما أنه اشرف من ان يلوث يديه بحفرات التراب

ماذا عساى ان اقول فى الذين يجلسون على مائدة الوجود ولا يضعون عليها رغيفا من خبز جهادهم

ماذا عساى ان اقول فى الذين يحصدون من حيث لا يزرعون

لا استطيع ان اقول فى هؤلاء اكثر أو اقل مما اقوله فى النباتات والحشرات الطفيلية التى تستمد حياتها من عصيرة النبت العامل ودماء الحيوان الساعى .. لا لا استطيع ان اقول فى هؤلاء اكثر او اقل مما اقوله فى لص يسرق حلى العروس ليلة عرسها !



المدينة العالمية

انشاء عاصمة للعالم

مشروع هنريك كريستيان اندرسون

بقلم الاستاذ نقولا يوسف

كلما تمادت الحكومات فى التسلح والحذر ، أو غالت فى التأهب للغزو ، واشتدت بذلك المنافسة والأحقاد وسوء الظن بين الشعوب ، تحركت بعض النفوس النبيلة التى تنشـــد السلام وتحلم بالاخاء البشرى والاتحاد العالمى فرأت ذلك الخطر الذى تستهدف له الانسانية من وراء اللعب بالنار فراحت تدعو إلى السلام العام وتبحث فى الوسائل والمقترحات المؤدية إلى الصفاء والتعاون والتفاهم والاتحاد بين جميع الشعوب . تألفت الجماعات والاندية وعقدت المؤتمرات الدولية فى مختلف فروع النشاط البشرى ، ووضعت المؤلفات ونشرت المقالات فى صحف العالم من أجل ذلك الاخاء العام والاستقرار المنشود ..

ومن عجيب المتناقضات فى هذا العصر العديم الاستقرار المليء بالتجارب أن ظهر فيه أعظم استعداد عرفه التاريخ فى التسلح والتأهب للحرب كما ظهر به أعظم دعاية الى السلم والوحدة العالمية وأكبر عدد من المؤتمرات الدولية التى تعمل على تعاون الأمم وخدمة الانسانية باعتبارها أسرة واحدة كما ظهر فيه أجمل مظهر ليقظة الضمير العالمى الذى يمقت الاعتداء والحروب ..

ولـكن لا مفر من وجود هذا التناقض ما دام الناس فى هذا العصر قسمين يتجهان الى ناحيتين متنافرتين : قسم يجمع الساسة ورؤساء الجيوش وتجار الأسلحـــة وهؤلاء هم الراغبون فى التسلح الداعون إلى الحرب المسئولون عن العداء الدولى والتفريق بين الناس .. والقسم الثانى يشمل سائر الأفراد الذين تتكون منهم شعوب الأرض وهؤلاء لا يؤمنـون بالحرب ولا يبغون الاعتداء وليس أحب الى قلوبهم من أخاء عام يشمل ذلك القطيع المبعثر على هذا الكوكب الصغير ..

ولكن سواء أرضى الساسة والمتطرفون فى الوطنية أم لم يرضوا الاتفاق على مسائل السلم والوحدة والتعاون فان العالم فى خضوعه لناموس التطور والارتقاء يتجه على الرغم منهم نحو الاتحاد العالمى وأن روح العالمية ينمو ويتفشى بلا وعى منا ولا قصد . بل لقد أصبح العلم والاختراع وكل ثمار الحضارة حقا شائعا لجميع الأمم . وهذا التطور يسير بنا سريعاً نحو تحقيق غايته وهذه الغاية هى أن يسكن كل كوكب من كواكب الفضاء شعب متضافر متآخ متعاون ...

* * *

وبين تلك النفوس النبيلة التى كرست حياتها من أجل السلم والاخاء والاتحاد العالمى رجل أمريكى المنشأ نروجى المولد يعيش اليوم فى رومه بعد أن درس فن النحت وهندسة المعار بباريس وروما وواشنجتن . ورأى أن خير وسيلة لمنع الحروب ولضمان التعاون وترقية الصلات الودية بين الأمم هو فى تشييد « مدينة الأمم » — مدينة دولية ذات موقع مختار تتكفل ببنائها جميع الدول متعاونة لتكون عاصمة العالم وعقدة اتصاله وملتقى عدد كبير من زعماء الاقتصاد والعلم وقادة الفكر به ليعملوا يدا واحدة من أجل منفعة الجنس البشرى ورقيه وتصبح هذه المدينة بمثابة رأس العالم المفكر الذى به يعمل العقل العالمى ويتتج خير الثمار .

وقد بذل هذا الرجل شبابه وثروته وجهده من أجل تحقيق هذا الحلم أو هذه الطوبى التى شغلت أفكاره وأقلقت راحته منذ صباه . وهو اليوم شيخ فى السادسة والستين من عمره ولكنه لم يزل نشيطا فى الدعوة الى مشروعه ، مثابرا عليها منذ أكثر من ربع قرن حتى اليوم ، مدفوعا من وراء هذا كله بغاية انسانية معتقداً بأنه « ليس ثمة شىء مستحيل لانشاء هذه المدينة لأن هذا العمل لا يعد شيئا فى عصر الكهرباء واللاسلكى واتمام المشروعات الهائلة الضخمة » وهو يقول « ان التعاون العالمى والاخاء سيحلان فى الوقت المناسب مكان التنافس والعداء ولكنهما يجب أن يقوما على أساس المحبة »

أما هذا الفنان الاديب ذو العقلية العالمية المفعم القلب بحب الانسانية والرغبة فى اسعادها وخيرها والذى يجمع فى نفسه بين أحلام الشاعر الطوبوى وحقائق المهندس المعمارى إلا أن أحلامه هى من ذلك النوع الذى طالما انتفعت به الانسانية ؛ فهو هنربك كريستيان اندرسون وأما مشروعه

فليس بمجرد خيال يصوره شاعر ملهم على ورق بل هو حكم تجسد فى تصميات متقنة ونماذج فنية دقيقة ومقاييس هندسية ذات جمال معمارى فائق — لم يدع فيها ثمرة من ثمار الاختراع والتقدم العلمى الحديث والشروط الصحية وجميع مطالب الحياة السعيدة الموفورة الا وأتى بها . ولم يبق على تحقيق المشروع وابرازه الى الوجود غير ارادة الدول مجتمعة إن شاءت تبرعت كل واحدة منها بثمن مدرعة حربية واحدة ومقدار ما ينفق عليها ..

ووجد المستر هنريك اندرسون أن جهده وماله ووقته لا تكفى كلها فى التفرد بعمل الرسوم والنماذج والتصميات لتشييد مدينة عظيمة كهذه فاستعان بالمهندس المعمارى الفرنسى أرنست هبرار ثم بأربعين مهندسا وفنانا آخرين ثم طبع الرسوم والخرائط وصور التماثيل والنماذج والشروح والتفاصيل فى كتاب أنيق كلفته النسخة الواحدة ثلاثين جنيها وبعث به الى ملوك الدول وحكامها وبرلماناتها ومكتباتها وجامعاتها فى انحاء الأرض فلقيت فكرته كل ترحيب واستحسان . ورأى ان يمهد الى تحقيق مشروعه بتأسيس جمعية « الضمير العالمى » وهذه الجمعية ما زالت قائمة تضم عددا كبيرا من الشخصيات البارزة فى مختلف الامم ممن يؤيدون فكرته ويهتمون بقضية السلام .. وهو يرى ان مثل هذا المشروع يجب ان يمهد له الطريق بايقاظ الضمير العالمى اولا . وهو منذ اكثر من ربع قرن يطبع الكراسات والنشرات للدعاية الى تحقيق مشروعه مرحبا بكل راى جديد او اقتراح عملى كما انه وضع قصره بروما المسمى « فيلا هيلين » ليكون معرضا لتماثيله الرائعة وللنماذج والرسوم التى تتكون منها المدينة الدولية لكل من يشاء الاطلاع عليها وابداء الرأى فيها

وقد كان لى حظ الاتصال بالمستر هنريك اندرسون ودراسة مشروعه وقد ارسل الى عددا من النشرات والايضاحات وخطابا جاء فيه « ويسرنى ان ادرج اسمك كعضو فى جمعية الضمير العالمى ولى كل الامل ان تعمل ما استطعت من اجل تعريف بنى وطنك بالفكرة وبالمثل الاعلى لمدينة الاتصال المركزية . وأرسل اليك كطلبك فى مظروف منفصل بعض نسخ من مقالات كتبت عن المدينة العالمية وتفاصيلها العملية والمزايا التى تعود على البشرية منها . وا كون سعيدا اذا ترجمت او نشرت اى جزء منها . ومع احسن تمنياتى لعملك الباهر ومع تحياتى ارجو ان اظل المخلص هنريك .... »

ومن تلك النشرات والنبذ التى بعث بها الى المستر اندرسون يمكن اقتباس البيانات التالية .

• • •

أما هذه المدينة الدولية فقد أتم هندسك اندرسون ومساعدوه جميع تصميمات عماراتها وطرقها ولم يتركوا شيئا . وهى بلدة مساحتها عشرة أميال مربعة تقع فى مكان ملائم يسهل على جميع الأمم الوصول اليه ويكون قريبا من مراكز النشاط فى العالم .. ويكون موقعها بطبيعة الحال موضع اتفاق الدول . وقد درسوا فعلا عدة جهات صالحة لاقامة هذه المدينة يمكن اختيار أحدها كالساحة المطلة على بحيرة نيوشاتل بسويسره أو الواقعة على ساحل الرفييرا أو على البحر المتوسط بقرب رومه أو بقرب بروكسل أو لاهاى أو باريس أو على ساحل بحر مرمره بقرب استنبول أو عند نيوجرسى بالولايات المتحدة ولكل من تلك المواقع ميزات وخرائط مدروسة لهذه الغاية وفوق ذلك فالمسافات والأبعاد لم تعد اليوم ذات أهمية بعد تقدم وسائل المواصلات ..

هذه المدينة العالمية المزمع انشاؤها فى المستقبل تجمع بين عبقرية العلم الحديث وجمال الفنون فقد استعان فيها الخيال بنتائج المخترعات وعجائب الفكر بالاستشراق . . . طرقها الفسيحة وسائل النقل إذ كل ما فى المدينة من طرق المواصلات سيكون تحت الأرض فى نفق لا تقل اتساعا ونظافة عن الشوارع ذاتها . وهى لا يشوهها دخان إذ لا ضرورة الى المصانع بها .. فيها كل مايعين على تقدم البشرية جسديا وذهنيا ومعنويا .. العلم والفن والأدب والرياضة الجسدية وكل عناصر التربية يجب أن تنشط حتى يصبح الاخاء البشرى حقيقة عملية مؤدية إلى التعاون العالمى ..

يستقبلك عند مدخل الميناء تمثالان عظيمان يقومان على شكل بوابة هائلة ثم يتصل هذا الميناء بميدان المدينة الرئيسى المسمى بميدان المؤتمرات شارع فسيح اسمه شارع الامم ، لكل أمة فيه بناؤها الخاص ، وهذه الأبنية الوطنية ذات أهمية إذ تتخذ منها كل أمة واسطة لابراز صناعاتها ومنتوجاتها الزراعية والمدنية والفنية فتكون أشبه بالمعارض الدائمة التى تفرق عن المعارض الدولية التى تقام فى أمة معينة وتحت قيود ناتجة عن اعتبارات سياسية ومجاملات خاصة حيث تتنافس الامم فى اقامة معارض فسيحة مؤقتة تكلفها نفقات باهظة .. فى مدينة الامم المتحررة من الرقابة السياسية يكون لجميع الشعوب فرص متساوية لعرض جميع مميزاتها بوسائل مريحة قليلة النفقات .. وفى هذه الابنية

الوطنية تقيم وفود الامم المختلفة التى اختارتها بلادها كممثلين لها وحاملين واجبات حماية منافعهم ونشر تجارتهم ..

فاذا وصلنا الى الميدان الرئيسى الكبير وهو ميدان المؤتمرات رأينا بناء مخصصا لدراسة العلوم النظرية ؛ ومصرفا دوليا لتوحيد المعاملات المالية وتسهيلها ، ومعهدا اجتماعيا ، وبناء للتعاون ، وآخر لدراسة علم الجرائم والطب والجراحة ثم مكتبة دولية عظيمة بها ما يهم العالم من مختلف المراجع والتقارير ثم هيكل للاديان المختلفة تعقد الاجتماعات الدينية والروحانية يعبر فيه القادة الروحانيون فى هذا العصر عن آرائهم فى الله والخلود. وفى وسط هذا الميدان يقوم « برج التقدم » الذى يتألف قدم ذو سبعين طابقا فسيحا يصعد اليه بأربعين مصعد كهربائى . وهنا يكون لامم الارض مكاتب وقاعات اجتماع ومندوبيون عن الشعوب . وفى أطباقه السفلى مطبعة كبيرة تجمع أنباء العالم الصادرة والواردة وتطبعها للنشر وفى قمته محطة لاسلكية عظيمة القوة تذاع منها فى الحال كل ما يهم العالم من أنباء المكتشفات وما يلقى فى المؤتمرات الدولية بالمدينة من خطب : وهذه المحطة تتسلم أيضا أخبار الدنيا من أبعد جهاتها حاملة أنباء تقدم العالم : هذا البرج يكون قلب المدينة النابض ..

وينتهى شارع الامم بميدان فسيح فى وسط « نافورة الحياة » محوطة بتماثيل وجوه الحياة البشرية . ويقوم حول هذا الميدان هيكل الفن ومعهد الموسيقى والتمثيل وبناء لمدرسة الفنون الجميلة وتمتد من ورائه قناة عظيمة عليها القناطر الجميلة وتمر بحدائق الحيوان وبمتحف التاريخ الطبيعى وبمدرج الالعاب الاولمبية ..

بمدينة الامم أماكن للاجتماعات ومحكمة العدل الدولية ومعامل للاختبارات العلمية وملاهى للسينما والتمثيل وقاعات للموسيقى ومدارس وميادين للألعاب الرياضية وجمنازيوم للسيدات وآخر للرجال وحمام للسباحة وكليات دولية يتعلم فيها طلبة من مختلف الامم

ولم يرسم جزء من هذا البلد العالمى إلا وصحبه شعور بحياة الناس الذين يعيشون فيه . فكل مكان فيه ينبض بالحياة ويرمى إلى الاخاء والصفاء . أما الحرب فلا تعترف به هذه المدينة ولا تمجده إذ هى تعمل على محو الأسباب التى تخلق الحروب وبهما ترى كل امة خير ما فى اختها فى تقارب وتفاهم وعلى ذلك فهذا المركز يتجه نحو السلم الدائم .

إنه مشروع يبدو ضخما لأول وهلة ولكنه فى هذا العصر أمر هين يسهل تنفيذه فهو بسيط مثل كل عظيم فى زماننا الذى شقت فيه قناة بنما وشيدت المدن العظيمة وصنعت المناطيد الهائلة فليس بناء مدينة الامم إذا ما اتفقت وتعاونت دول الأرض بالأمر المستحيل بل أنها لتظهر فى سنوات قلائل..

•••

وقد مهد المستر هنريك اندرسون إلى مشروعه بصفحات عديدة رائعة الاسلوب قوية الحجة يمكننا أن نلخص منها ما يلى :

لاشك أن احدى ميزات العصر الحاضر هى الرغبة فى الارتباط والتجمع . فالشئون الصغيرة لاتلبث أن تتجمع فى شكل مشروعات كبيرة أو فى هيئة جماعات لكى تنال بذلك القوة الناجمة عن الوحدة . . وهذا الميل المتجه نحو التعاون اكثر منه الى التنافس يبدو اكثر وضوحا من الوجهه الدولية . فلم يكن هناك جمعيات دولية بمثل هذه الكثرة التى نراها فى عصرنا الحاضر . ومهما كانت فوائد هذه الجماعات فانها تشهد ولاشك بالرغبة المتزايدة فى سلام عالمى واخوة شاملة فى حين ان الوطنية تدع مكانها لنمط أسمى هو العالمية

فالمثل الأعلى الذى نحاول تحقيقه هو التعاون الدولى . فالامم لاتكتفى ذاتها وعليها أن تتطلع إلى ماوراء حدودها إن هى شاءت أن تجنى ثمار الحضارة . . والعلم والاختراع قد ربطا العالم بحيث لاتوجد أمة تستطيع أن تظل فى غنى عن التعاون الدولى دون أن تضيع نشاطها وتبعثر مواردها . ومن الواضح أن كل أشكال التعاون تحتاج إلى مركز يتصل بكل جزء من التنظيم لكى يتمكن الكل من السير بانسجام وبأثر محسوس نحو الغاية المرجوة وبدون هذا المركز لايكون هناك تماسك ولا نجاح .

إن فائدة الاتحاد والتضامن فى امة من الامم أمر واضح لايحتاج إلى مناقشة فكم بالحرى تلك الفائدة التى تعود على كل الامم من تعاونها واتحادها . . إن الصعوبة تنحصر فى جعل هذا المثل الأعلى حقيقية عملية .

وأهم ضمان لهذا التعاون الدولى فى كل فروع النشاط البشرى بل وربما كان الوسيلة الوحيدة هو فى تأسيس مدينة دولية تؤدى من الوجهات المادية والثقافية والروحية ذلك العمل الذى يؤديه «بيت التخليص على البضائع» . . وسيعرف العالم اليوم أو غدا أنه فى حاجة إلى مدينة لا تتبع امة واحدة بل

تخص كل الامم .. مدينة تنشأ بموافقة عامة من أجل نفع البشرية وتكون أيضا خارجة عن دائرة الأغراض السياسية . فثل هذه المدينة تكون ذات أثر لايقدر فى ترقية روح الصداقة والتقدير بين مختلف الشعوب . بها يمكن لكل شعب أن يساهم فى الخدمة العامة وتصبح المبادلة الضرورية للفكر والتجربة ذات أثر أكبر مما هو فى الوقت الحاضر إذ لن تقتصر هذه المدينة على كونها مكانا لاجتماعات رجال الامم الممتازين بل تكون أيضا مركزا يذيع فى كل الأرض أعظم ثمار العقل البشرى .

ثم أن مدينة الامم تقوم أيضا بخدمة كل أمة على حدة مادام لكل امة بناؤها الخاص بها ولها ممثلوها الدائمون وبذلك يمكنها تقديم ناجها الزراعى والعلمى والفنى للعالم بطريقة تتفق مع مصلحة المنتج . وهى حين تعرضها فى سوق مدينة الامم تكون قد عرضتها فى كل أسواق العالم . وهنا تتساوى الفرص لكل امة كبيرة أو صغيرة من تلك الناحية . فكل امة تستطيع إن تخصص جزءا من بنائها الخاص فى مدينة الامم ليكون معرضا دائما لمواردها الجغرافية والمعدنية والزراعية ولصخورها وتضاريسها وطبيعة أرضها ومصنوعات معادنها وما بها من مساحات مناسبة لمختلف الحاصلات وللارض التى لم تزرع بها بعد وغير ذلك من التفاصيل التى تسهل الدراسة خواص كل امة على حدة .

وبهذه المدينة يمكن تأسيس محكمة العدل الدولية . واذا كانت الامم لا تستطيع اليوم تحت تأثير الظروف الحاضرة أن تستغنى عن القوة المسلحة من أجل صيانة حقوقها فان مجرد وجود مدينة الامم وبلد السلام — يعمل فى ذاته من أجل منع سوء التفاهم الذى يؤدى إلى الحرب . وعلاوة على ذلك فان التعاون يؤدى الى التقدم بينما الحرب لا تجلب غير الخراب والبؤس للغالب والمغلوب . وسيكون كل جيل آت اكثر اقتناعا بأن الحرب نوع من الجنون الوطنى . وبغض النظر عن هذا التغير التدريجى للرأى العام فان اكثر الوسائل أثرا فى منع الحرب هو فى تشييد محكمة دولية قوية للعدل كالتى تؤسس فى المدينة العالمية يرؤسها ممثلون من اكبر مشرعى الامم . هذه المحكمة تتولد بساطة للفصل فى كل المنازعات الدوليه وتؤيد قراراتها إذا كان ذلك ضروريا بجيش دولى يكون كما نأمل وتتمنى القوة المسلحة الوحيدة فى العالم تعضده وتحترمه كل الامم المتمدينة — ..

واذا ذكرنا هذه المحكمة الدولية لفض النزاع بين الامم فان عصبة الامم تطرأ على بالنا . ولكن مدينة الامم هذه ستحل مكان هذه العصبة . لان هذه العصبة بالرغم من غرضها السامى فان عيبها

أنها تعمل كهيئة منعزلة لا كجزء من نظام عالمى عظيم ويمكن بذلك تشبيهها بجزء صغير من آلة مشتبكة وهذا الجزء مع أهميته فى ذاته لايؤدى الغرض منه حيث تتجمع جميع الأجزاء وتأخذ مكانها الحقيق وتعمل مع بقيه الاجسام بانسجام .

أما الاختراعات والمكتشفات — فان تقدم البشرية يعوقه نقص فى طريقة تنظيم الاختبار وتناول الاختراعات والمكتشفات الجديدة لاسيا ذات الصبغة العلمية ، هذا التناول يعنى اذاعة مناسبة للمخترعات التى تبدو انها خير ما يفى بالغرض فثمة كمية كبيرة من البيانات فى كل ميادين النشاط أما أنها تضيع تماما وأما أنها تقتصر على مساحات محدودة . وكثيرا ما يضيع الوقت الطويل قبل أن يجنى العالم ثمار الاختراع أو الاكتشاف إذ تتحقق قيمته ببطء شديد ولكن هنا فى مدينة الامم توجد مصلحة لاختيار المخترعات والمكتشفات واذاعة ما يهم العالم منها .

ووجود مركز مشترك لكل فروع العلم النظرى والتطبيق يكون ولا نزاع ذا قيمة كبيرة اذ بذلك يتوافر كثير من النفقات . ثم أن توحيد البحث العلمى تحت أشراف مكتب دولى واحد يضم عددا من علماء الامم يضع حدا لضياع الوقت والمجهود اللذين يتطلبهما . وفى هذا المكتب تجمع تقارير الابحاث وسائر النتائج العلمية الشهيرة فى كل العالم حيث يسهل مراجعتها والحصول عليها . ويخصص فى المدينة بناء دولى للابحاث الطبية يسد حاجة ماسة تتطلبها الانسانية . عمل متحد يباشره مركز مشترك يكون ذا أثر محسوس فى مكافحة الامراض والاوبئة ويؤدى من الخدمات أكثر مما تؤديه الوسائل الحاضرة مادام رجال العلم من كل الامم يعملون معاً على وفاق .

أما فوائد المعارض الدولية من حيث تنشيط التجارة والصناعة وأثرها فى كل فروع النشاط فلا تنكر وفى الوقت الحاضر تقام المعارض فى أوقات متباعدة طويلة ولا تمثل فيها كل الامم على السواء بالنسبة للاعتبارات الخاصة والسياسية أما فى المدينة الدولية فتخصص كل أمة بناءها لمثل هذه المعارض التى يمكن اقامتها فى أغلب الاحايين . وبذلك يمكن أن تعرض أمام العالم آخر التطورات فى جميع نواحى النشاط بأكثر سهولة مما هى عليه الآن . وهنا يستطيع أرباب الصناعات أن يقيموا أسواقهم دون حاجة إلى اقامة فروع فى دولة بعد أخرى ، مادامت كل الامم تكون متصلة بهذا المركز المشترك ويستطيع أيضا أرباب الزراعة أن يختبروا فى كل وقت ما دخل على آلات الزراعة من تحسينات

أخيرة وان يروا أساليب الزراعة فى الامم الاخرى .

ومن صالح كل أمة أن تلم بالاحوال الجارية فى غيرها من الامم . وعن طريق الاحصاء يمكن لكل أمة أن تعرف ما تفيد وما تقدم لغيرها . وعلى المدينة الدولية ترد أنواع الاحصائيات والارقام من جميع جهات الارض مما يتعلق بالسكان أو بالمنتوجات أو التجارة أو عدد العاطلين وغير ذلك من الاحصاء المسجل بدقة وعناية . فيكون لتلك الاحصائيات قيمة عظيمة فى الالمام بأحوال الشعوب .

وبوساطة هذا الاحصاء يمكن تنظيم الانتاج إذ هنا سجلات لاسواق العالم فى متناول اليد وكذا المدخرات الاحتياطية والكميات الموجودة فعلا فى السوق وما يمكن وضعه فى كل فصل من فصول السنة . وبذلك تتجنب الازمات المالية التى تنشأ فى معظم الاحوال عن تضخم الانتاج . وفى بعض الامم يقدرون المساحات التى تزرع حاصلات مناسبة وهذه الطريقة اذا انتشرت فى انحاء الارض تضع حدا للخسارة الكبرى الناتجة عن التضخم فى المواد الغذائية . اذاً توزيع الحاصلات مسألة يمكن علاجها فى مكتب دولى ويكون ذلك اكثر نفعا من الطريقة الحاضرة التى تستقل بها كل أمة

ويؤسس فى المدينة مصلحة مركزية للعمل والعمال تجمع فيها احصاءات عامة عن عدد العاطلين فى كل امة وفى كل فرع من فروع الصناعة وبيانات مفصلة عن الاقاليم القادرة على تشغيل الايدى العاملة كما فى المساحات الغير المزروعة والتى ما زالت على حالها فى مختلف جهات الارض . ويمكن بذلك انشاء مدن فى الاقاليم الغير الاهلة بالسكان . وكذلك تسهل دراسة وترقية حال الطبقات العاملة وصيانة مصالحهم وتتخذ لذلك مقاييس وقوانين تشمل جميع الامم

أما المصرف الدولى فى مدينة الامم فيخفف المصاعب المالية الناتجة عن الطريقة الحاضرة التى تحتاج الى مستوى دولى للعملة . وهذا المصرف علاوة على تنشيطه التجارة والصناعة فى العالم وتسهيله الصلات التجارية والمعاملات المالية فانه يوفر على المسافرين والسواح الخسارة والمضايقة الناتجتين عن تبديل العملات المختلفة . ان العالم فى حاجة الى مصرف دولى يعضده مساهمون دوليون ومودعون

يقول هنريك اندرسون ان العالم دائما يحلم مدة قرون عديدة حتى انه تعب من سباته وأحلامه . وهذا القرن العشرون سيراه مستيقظا لانه شرع يهب من نومه منذ قرن والشوط الذى قطعه فى الاستيقاظ فى الخمسين سنة الاخيرة مدهش حقا

تقدم العلوم والفنون

الكلسيوم والفصفور والحديد

تعد هـذه العناصر الثلاثة من أهم ما يحتاج اليه الجسم فى الغذاء بحيث اذا نقص مقدار ما فى الاطعمة منها ظهر أثر ذلك فى اعتلال الصحة واستعداد الجسم لامراض مختلفة

والـكلسيوم (الجير) يوجد أكثر ما يوجد فى اللبن - ولـكنه يرسب فى قعر الاناء اذا وضع اللبن على النار وبلغ درجة الغليان - ولذلك يجب أن يرفع عن النار قبل أن يبلغ هذه الدرجة - ويلى اللبن الجبن - ثم التين - ثم المحار - ثم الفول وسائر القطانى - ثم السبانخ

أما الفصفور فيوجد أكثر ما يوجد فى لحم البقر - ثم فى الفول وسـائر القطـانى - ثم اللبن ثم المحار - ثم السمك - ثم الجبن

أما الحديد فيوجد أكثر ما يوجد فى السبانخ - ثم فى لحم البقر - ثم عسل القصب أى العسل الاسود - ثم فى التين - فمح البيض - فزلال البيض - فالخبز الاسمر أى الذى خبز مع النخالة

ولفظ القطانى التى ذكرناها هنا نعنى بها الحبوب التى تتفلق فلقتين مثل الفول والعدس والفاصوليا

قيمة الام فى التربية

قام أحـد الامريكيين باحصاء بين الطلبة النابغين فى الجامعات وهـل للاب أم لـلام تأثير فى نبوغهم - فوجـد أن نبوغ الاب لا يؤثر بتاتا فى أولاده مهما كان راقيا مثقفا - أمـا اذا كانت الام متعلمة مثقفة راقية فان أولادها يغلب أن يصلوا الى درجة النبوغ - والتعليل لهذه الظاهرة أن الاب قلمـا يختلط باولاده فى سن الطفولة فهم لا يتأثرون منه ولا يقتدون باخلاقه - ولـكنهم لالتصاقهم بامهم منذ الولادة يأخذون عنها عادات حسنة مختلفـة وينزعون نزعاتها - ثم هى لرقيها ولانها تقدر مستقبلهم توجههم التوجيه الحسن وتغرس فيهم عادات الدرس والنقد والملاحظة والتصاقها بهم طول النهار يتيح لها ذلك

عقبات الطلاق فى انجلترا

من المشاكل التى تواجهها انجلترا مشكلة الطلاق فان عدد عقود الزواج التى تتم سنويا تتراوح بين ٣٢٠,٠٠٠ و٣٤٠,٠٠٠ عقد . تنفصل عرى روابط ٤٠٠٠ زواج منها اى ان نسبة حوادث الطلاق ١ على ٨٠ وهى نسبة يراها القائمون بالامر كبيرة لاسيما بالنسبة لما كانت عليه من ٧٠ سنة اذا كانت ١ على ٧٠٠٠

ويرجع هذا الى ان الطلاق فى العهد الفكتورى كان من اعسر الامور اذ كان الزوجان مقيدين بالقوانين الكنسية التى كانت تسير تبعا لقوانين العصور الوسطى التى كانت تجعل انفصال الزوجين مستحيلا. فقد كانت محاكم الكنيسة تسمح بانفصال الزوجين فى حالتى الزنى اوقسوة الزوج ولكنها فى الوقت نفسه كانت تحرم زواج المطلقين

وفى سنة ١٨٥٧ انشئت اول محكمة للطلاق وفى الثمانين السنة التالية حتى الآن صدرت عدة تنقيحات وصلت بالقانون الى ماهو عليه الآن . وتحاول محاكم الطلاق ان تنظر القضايا المعروضة عليها بسرعة ومع ذلك فان المدة التى تلزم لنظر قضية تقديمها منذ الى نظرها تحتاج الى تسعة شهور ينتظر بعد تعديل طفيف ان تصل الى اربعة شهور . وهذا يعنى ان ١٠٠ قضية ستنظر فى اليوم الواحد

وينص القانون الجديد على ان ترك الزوجين احدهما للآخر يمكن ان يعتبر اساسا لقبول الطلاق . وبذلك اغنى كثيرا من الازواج من شر الفضيحة والانهيار الاخلاقى بأن يكونوا مضغة فى افواه خدم الفنادق ، او تحت رقابة رجال البوليس السرى الخاص ، او ان يرتبوا ضبط انفسهم متلبسين بجريمة الزنا . وقد اشترط القانون ان يستمر الترك ثلاث سنوات تسبق اصدار الامر بالطلاق

وهناك اساسان آخران يمكن ان يترتب عليهما الطلاق وهما القسوة واختلال القوى العقلية ولكن هذين المبدأين آثارا نقاشا قانونيا . اذ ما معنى القسوة ! وهل الجنون لايمكن شفاؤه ؟

فان القانون يعتبر القسوة من التصرفات التى من شأنها ان تعرض الحياة للخطر . كما ان استمرار المعاملة السيئة يجب ان يتوافر فيه وضع المعتدى عليه تحت الخطر ليصلح اساسا للطلاق

اما شرط الجنون فانه لايوجد طبيب واحد يمكنه ان يقول ان هذا الشخص « مجنون لايمكن شفاؤه » ويكاد هذا الشرط يكون اساسيا للأخذ بهذا المبدأ القانونى . ويحاول **الاطباء** التهرب من

هذا الوضع فيقولون « مجنون لايمكن شفاؤه بالنظر الى معلوماتنا الحالية » ومع هذا فان القانون يعطى المريض فرصة فهو يحتم ان يستمر علاجه خمس سنوات دون انقطاع ومعنى هذا ان جنون الزوج او الزوجه المتقطع لايعتبر اساسا للطلاق

وتعتبر مصروفات قضايا الطلاق فى انجلترا من العقبات التى يصعب على كثيرين تخطيها . فان ابسط قضايا الطلاق تتكلف من ٤٥ الى ٦٠ جنيها اما فى الحالات المعقدة الاخرى فقد تصل المصروفات الى بضعة الاف من الجنيهات وهكذا تعتبر هذه المصروفات الباهظة احدى عقبات الطلاق التى لم يمهدها القانون الجديد

عضلات العقل

عاداتنا هى عضلات عقلنا ويمكننا ان نكونها ونتعهدها بالرعاية كما نكون عضلاتنا لو كلفنا انفسنا مشقة ذلك العمل بنشاط وتعقل . فان عادات العقل تنمو وتقوى بالمرانة كما تضعف وتضيع بالاهمال. فاذا اكثرنا من استعمالها زدناها قوة وكلما اهملناها زدناها ضعفا وهذا هو خير طريق لبناء الشخصية

فاذا تعودنا عادة عدم الاستقرار وعدم الانتباه تكون النتيجة ان عقلنا لايقدر على ان يركز انتباهه فى موضوع معين وبالتالى نفقد الرغبة فى المعرفة فنخسر اثمن كنوز الفكر لانها تمر بنا ولا نشعر بوجودها

واذا قرأنا المجلات المبتذلة وذهبنا الى الروايات السينمائية او المسرحية السخيفة وتكلمنا فيما لامعنى له من التافه فان عضلات عقلنا تصبح ضعيفة . ومثل هذه العقول السطحية التفكير لا يمكنها ان تهضم كتب الادب الراقى ولا ان تفكر فى مسائل عويصة الحل او ان تبتدع من عالم المعرفة والاختراع اثرا جديدا يفيد الانسانية

فكيف تربى عضلات عقلك !

جهاز لحراسة حيوانات الصيد

نجح جهاز آلى كهربائى فى منع الحيوانات من الخروج من غابة صيد فى المانيا فقد احيطت

الغابة بسياج يمنع الحيوانات من المرور ومع ذلك فقد تمكن بعضها من الافلات من البوابات ولذلك بنى على كل مداخل الغابة ومخارجها اقواس من كتل الخشب وفى نهاية تلك الاقواس ركبت اشعة ضوئية فاذا حاول الحيوان ان يخرج قطع الاشعة فلا تمر ثوان قليلة حتى يغمر المكان ضوء قوى لامع وترتفع اصوات مزعجة لايسع الحيوان معها الا ان يتراجع مذعورا

قشر البيض

صرح الدكتور ا . ل ولهام من كلية ولاية وشنطن ان قشر البيض مغذ الى درجة كبيرة فهو يحتوى كميات كبيرة من الكلسيوم الذى يحتاجه الجسم فى تركيب العظام وهو يرى أن الانسان يخسر كثيرا لانه لا يجد طريقة تمكنه من أكل قشر البيض

نصائح طبية

لا تأكل ولا تشرب وانت مضطرب أو متعب

احتفظ برأسك باردا وبارجلك جافة دافئة

نم مبكرا فى الليل ويستحسن ان يكون ذلك على جانبك الايمن كما يجب ان تتنفس من انفك

من مستلزمات الصحة الجيدة الحالة العقلية المرحة والهادئة والتى تسعى الى غرض معين

اذهب بانتظام الى الحقول والمراعى والاماكن الطبيعية لتريح اعصابك وتنعش نفسك

طعام الكلاب

يعنى الاوربيون عناية كبيرة بتربية الكلاب ودرس الوسائل التى تحفظ لها صحتها وتبعد عنها الأمراض . وتربية الكلاب من المهن الشريفة التى يعيش منها عدد كبير من التجار الذى يختارون السلالات الرائجة ويربون افرادها بعناية كبيرة . وأهم القواعد التى يراعيها هؤلاء التجار حتى لا تمرض الكلاب اوتموت انهم يجعلون فى متناول الكلب على الدوام صفحة من الماء النقى الذى يغير مرتين فى اليوم . وبعد ذلك يؤلفون طعاما للكلب خاليا كل الخلو من الدهن او الشحم . وما دام

الكلب لا يأكل الدهن او الشحم . ومادام الكلب لا يأكل الدهن او الشحم فانه قما يمرض . وقد يستغرب القارىء ان كثيرا من الاوربيين يشاركون الكلاب فى هذا الطعام ويجنون منه صحة وعافية . لان امعاء الانسان لا تختلف من امعاء الكلب من حيث عجزها عن هضم الاطعمة الدهمية

الذوق العام والعلم

مما لاحظه الكسيس كاريل فى كتابه « الانسان : هذا المجهول » ان الجمهور المتمدن له احيانا من الذوق والنظر والعادات ما يخالف العلم او الصحة فقد شاع مثلا بين المتمدنين اعجابهم بالقامة المديدة فى الرجل والمرأة مع انه ليس هناك اى دليل يثبت ان الانسان الطويل يفضل الانسان القصير سواء فى صحة الجسم او صحة العقل او طول العمر او الذكاء او الاخلاق

وكذلك يقبل المتمدنون على الاستحمام حتى اصبحت هذه العادة لازمة لا يستغنى عنها احد مرة بل مرتين فى اليوم . ولكن العلم يثبت الان ان الجسم يفقد بالاستحمام طبقة من سوائلها ومفرزاته لها قيمة صحية كبيرة اذ هى التى تجعل الجسم ينتفع بالاشعة الاكتينية (ماوراء البنفسجية) وعندما تغسل البشرة وتزال هذه السوائل يعجز الجسم عن الانتفاع بهذه الاشعة

المصانع على الامواج

كانت السفن التى تصيد القياطس تجر جثتها على الماء الى أقرب الموانى ثم تسلمها للمصنع الذى يستخرج منها الشحم والعظم واللحم . ولكن السفينة الصائدة تبنى الآن وهى مصنع كامل . فاذا صيد القيطس عمدت اليه وهو فى الماء فانتزعت كل ما فيه من جلد وشحم ولحم وعظام وتخزن كل على حدة فى مخازنها العظيمة . وتفعل كل ذلك فى ساعات قليلة دون ان تحتاج الى قضاء الوقت فى جر الجثة الى الميناء . ثم تعمد الى استئناف الصيد وقد بنى الالمان سفنا خاصة هى مصانع كاملة تصيد القروش وتستخرج كل ما فى القرش من لحم وشحم وعظم وهى على الامواج . فلا تعود الى الميناء الا بعد أن تكون مخازنها قد امتلأت بمحصول بحرى عظيم

موت الدماغ

من المستطاع فى كثير من الحالات أن يعاد القلب بعد وقوفه التام عن الحركة الى النشاط فيدق دقاته المنتظمة ويدفع الدم الى أعضاء الجسم ولكن العقبة فى اعادة الحياة ليست موت القلب أو توقفه بل موت الدماغ . لان خلايا الدماغ هى أول ما يموت فى الانسان ثم يليه خلايا الكبد ثم القلب ويمكن احياء القلب بحقنة بالقليل من الادرينالين بل يمكن احياؤه جملة مرات . ولكن العقدة هى فى احياء خلايا الدماغ

وقد قام الدكتور روبرت كورنيش بتجربة خطيرة . فانه جاء بكلب ووضعه تحت الكلوروفورم حتى مات . وبعد أن وثق بموته ورأى أن القلب لا يدق أخرج ساعته وبقى أربع دقائق كاملات . ثم حقن القلب بمقدار من الادرينالين فعاد الى الدق . ثم ساعده على التنفس . فلم تمض بضع ساعات حتى كان الكلب قادرا على تناول الاطعمة السائلة ولكن بمشقة ومجهود . وبعد عشرة أيام استطاع أن يأكل الاطعمة الجامدة . ولكن دماغه لم يستعد كفايته السابقة . اذ كان يمكنه أن يميز صوت المارة ويشم الطعام ويرى فى ضعف وغشاوة ولكنه كان عاجزا عن الوقوف وحده بلا سند كما كان عاجزا عن النباح مع القدرة على الهرير . وكانت عيناه تختلجان . وبعد ثلاثة أشهر أصابته نزلة شعبية مات بها

الفتاة التي يطمح اليها الشبان الامريكيون

ما هى الصفات الضرورية التى يريد الشاب توافرها فى فتاته المثلى ؟

وما نسبة كل صفة فى المائة ؟

سؤالان يحار فى الاجابة عليهما الشبان . ولكن بعض الاميركيين قام باستفتاء سأل فيه عددا من الشبان فى كليات الولايات المتحدة هذين السؤالين فكانت النتيجة هى أن الشاب يطلب هذه الصفات فى فتاته المثلى :

طهارة	٣١٫٥ فى المائة	حياء	١٢ فى المائة
شخصية	٣٦ فى المائة	جمال	١٢ فى المائة

ذكاء	١١ في المائة	فكاهة	٣٫٥ في المائة

الشاب الذي تطمح اليه الفتيات الامريكيات

وهذه هي الصفات التي تريدها الفتيات الاميركيات متوافرة في الرجل الذي تطمح اليه نفوسهن فكانت النتيجة مقاربة مع اختلاف بسيط في التقدير وهي كالآتي :

طهارة	٣٧ في المائة	ذكاء	٥ في المائة
شخصية	٢٨ في المائة	فكاهة	٣٫٥ في المائة
حياء	١٤ في المائة	جمال	٢ في المائة
أمانة	١٠٫٥ في المائة		

كم تستهلك من الحرارة

يستهلك كل صانع او زارع كمية معينة من الحرارة في اثناء تأديته لعمله وتختلف هذه الكمية باختلاف العمل لاختلاف المجهود الذي يصرف اليه وهــذا احصاء يبين الكمية الحراريــة التي يستهلكها بعض اصحاب الحرف مقدرة بالسعر وهو الوحدة الحرارية . وهو كمية الحرارة اللازمة لرفع جرام واحد من الماء درجة واحدة

	سعر في الساعة		سعر في الساعة
الكاتب على المكتاب	٩٤	لاعب تنس	٣١٢
الطرزي	١١٤	راقص الوالتز	٣٥٠
صانع الاحذية	١٦٠	الرجل ينشر الخشب	٤٤٨
الخادمة	١٨٠	العداء	٥٥٠
لاعب البيان في احدادوار بيتهوفن	١٩٨	راقص البولكا لروسية	٥٩٩
« « « « « ليزت	٢٢٨	متسابق على البسكليت	٦٠٠
الغسالة	٢٣٠	سباح	٦٢٤
النجار	٢٣٤	متسلق الجبال	٧٩٧

حرارة المواد الغذائية

وتحتوى كل انواع الاغذية مقادير مختلفة من هذه الوحدات الحرارية فبعضها يولد وحدات كثيرة وبعضها يولد وحدات قليلهوهذه بعض انواع الأغذية وما يولده كل من الوحدات الحرارية

	سعر فى الرطل الانجليزى		سعر فى الرطل الانجليزى
ليمون	٧٤	زبيب	١ر٢١٩
العنب	١٠٩	مربى قشر الاثمار	١ر٢٥٢
شيليك	١٢٧	العسل الابيض	١ر٣٣٩
كمثرى	٢٠٠	مح البيض	١ر٧٣٠
زلال البيض	٣٣٩	شوكلاته	٢ر٥١٦
الموز	٣٧٨	شحم او لحم خنزير	٢ر٦٩٧
اللحم	٧٤٨	لوز	٢ر٧٢٠
شرائح مقلية فى السمن	١٤٤و١	زبدة	٣ر٥٠٣
عسل اسود	١ر١٤٤		

الانتحار فى الليل والنهار

من الحقائق التى يثبتها الاحصاء . ان الانتحار يزداد فى الاشهر التى يكثر فيها النور . فهو اكثر ما يكون فى شهر يونيه . ثم شهر مايو . ثم شهر ابريل . ثم شهر يوليه . وأقل ما يكون فى شهر ديسمبر . ثم هو قلما فى الليل اذ معظم الانتحارات تقع فى النهار ويثبت الاحصاء ايضا فى مدى ثلاث سنوات فى انجلترا ان اسباب الانتحار كانت تعود فى الاكثر الى الخمر وفى الاقل الى هموم العيش . وبين هذين تقع اسباب اخرى منها الجنون والمتاعب المنزلية والفقر وضعف العقل

ولكن يجب الا يبرح عن اذهاننا ان الخمر هنا نتيجة وليست سببا للقلق العصبي او النفسي الذى ادى الى الانتحار لان المنتحر كان يطلب الخمر لتنفس الاسباب التي دعته في النهاية الى الانتحار

استخدام الجراثيم

يستخدم الانسان الجراثيم البكتيرية منذ أقدم الأزمنة في صنع الخبز والخمور والاجبان . فان الذى يحيل هذه الاشياء هو الاحياء البكتيرية التى تصيب العجين أو دقيق الشعير أو جريشه أو العنب أو اللبن . وهى عندما تصيبه تحيله الى خبز أو خمر أو جبن . وهى هنا مفيدة واضحة الفائدة وان كانت أحيانا تؤذى الانسان بما تحدثه فيه من أمراض . لان كثيرا من الامراض تسلك فى جسم الانسان سلوك بكتيريا الخميرة فى العجين

ويفكر بعض الزارعين فى استخدام هذه الاحياء فى شئون أخرى زراعية . فان بعضهم يرى أنه يمكن أن تختزن فى العزبة جميع نفاياتها من مخلفات الغلات وقصالة التبن وجذور النبات وبراز الحيوان والانسان فى مخزن كبير. ثم تسلط عليه أنواع من البكتيريا فتحدث فيه غازات يمكن استخدامها وقودا لتسيير الآلات أو ضوءا لاضاءة المصابيح فى العزبة

